جمهورية تركيا
جامعة جانكري كارا تكين
معهد العلوم الاجتماعية
العلوم الإسلامية الأساسية

معالم الدعوة الإسلامية في سورة الأنبياء

عبد العزيز ياسين محمد سعيد قصاب باشي

رسالة ماجستير

أ.م.د. حكمة الله أرطاش

جانكري – 2021

جمهورية تركيا
جامعة جانكري كارا تكين
معهد العلوم الاجتماعية
العلوم الإسلامية الأساسية

معالم الدعوة الإسلامية في سورة الأنبياء

عبد العزيز ياسين محمد سعيد قصاب باشي
ORCID: 0000-0002-6207-7623

رسالة ماجستير

جانكري – 2021

المحتويات

المقدمة 1

تمهيد..... 5

1. الفصل الأول: معالم الدعوة فيما يخص موضوعها 17

1.1. مقاصد الدعوة..... 19

1.1.1. تحقيق التوحيد..... 19

1.1.2. الهداية والإصلاح..... 26

1.1.3. إقامة الحجة..... 33

1.2. ثمرات الدعوة..... 38

1.2.1. الوصول إلى مرضاة الله تعالى..... 39

1.2.2. استجابة الله تعالى للمخلصين في الدعوة..... 40

1.2.3. المِنح والعناية الإلهية بالدعاة 44

2. الفصل الثاني: معالم الدعوة فيما يخص الداعي..... 47

2.1. أساليب الدعوة..... 49

2.1.1. الأساليب العقلية..... 50

2.1.2. الأساليب العاطفية..... 54

2.1.3. الأساليب الحسية..... 61

2.2. دعوة الأنبياء عليهم السلام (سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجا) 65

2.2.1. جانب من صفاته الدعوية..... 65

2.2.2. جانب من منهجه الدعوي..... 68

3. الفصل الثالث: معالم الدعوة فيما يخص المدعو 71

3.1. طبيعة المكذبين ونهايتهم 72
3.1.1. الإعراض عن الدعوة..... 73
3.1.2. التآمر على الدعاة، والدعوة إلى التمسك بالباطل..... 77
3.1.3. نهاية المكذبين 82
3.2. موقف الداعية من المكذبين..... 87
3.2.1. التوجه إلى الله تعالى وإحالة الأمر إليه..... 88
3.2.2. الدعاء للمكذبين أو عليهم..... 90
3.2.3. دعاء النبي لنفسه ومن حوله..... 92
الخاتمة 94
المصادر 97

بيان أخلاقيات البحث العلمي

أصرح بأني قد التزمت بعناية بالأخلاقيات العلمية والقواعد الأكاديمية أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة معالم الدعوة الإسلامية في سورة الأنبياء، وذلك بدءًا من مرحلة تقديم الاقتراح إلى أن انتهيت من هذه الدراسة، وأن المعلومات المذكورة في الأطروحة حصلت عليها ضمن إطار الأخلاقيات والتقاليد العلمية، وأنني قمت بذكر والإشارة إلى جميع المصادر والمراجع التي اقتبست منها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه الدراسة التي أعددتها وفقًا لقواعد كتابة الأطروحة، وأصرح بأن جميع المصادر و المراجع التي لجأت إليها هي تلك الموضحة في قسم المصادر والمراجع.

....\...\2021

توقيع

عبد العزيز ياسين محمد سعيد قصاب باشي

ÇANKIRI KARATEKİN ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Abdulazeez Yaseen Mohmmed Qassab BASHI tarafından hazırlanan *Enbiya Suresine Göre İslam'a Davetin Özellikleri* başlıklı bu çalışma, *29.07.2021* tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda *oybirliği* başarılı bulunarak jürimiz tarafından *Temel İslam Bilimleri* Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı)

Danışman : Dr. Öğr. Üyesi Hikmetullah ERTAŞ İmza: .....

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Mohamed Amine Hocini İmza: .....

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Laith Motei Yahia ALAZAB İmza: .....

ONAY

Bu Tez, Çankırı Karatekin Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun ...../..../ 202.. tarih ve ..... sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Prof. Dr. Coşkun POLAT

Enstitü Müdürü

الشكر والعرفان

من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل، أشكر الله تعالى بشكري الموصول إلى حضرة الحبيب الأعظم ﷺ، ثم إلى والديّ ومشايخي وكل من له حق عليّ.

كما يسرني أن أتوجه بالشكر لكل من أسدى لي النصح والتوجيه في إعداد هذه الرسالة، وبأي مرحلة من مراحلها، أخص بالذكر أستاذنا الفاضل أ.م.د. حكمة الله أرطاش الذي قدم لي الإرشاد والمساندة من خلال المتابعة والإشراف على البحث، والشكر موصول لإدارة كلية العلوم الإسلامية في جامعة تشانكيري، وكل الأساتذة الذين قاموا بتدريسنا خلال الفصول، شكرا لكم جميعا وجزاكم الله عني خير الجزاء.

الباحث

ملخص البحث

عنوان الأطروحة: معالم الدعوة الإسلامية في سورة الأنبياء

مُعِد الأطروحة: عبد العزيز ياسين محمد سعيد قصاب باشي

المشرف: أ.م.د. حكمة الله أرطاش

الفرع العلمي/القسم: العلوم الإسلامية الأساسية

نوع الأطروحة: ماجستير

تاريخ الموافقة :

الملخص: إن من أهم الأغراض التي يهدف إليها البحث هو إبراز المعالم الدعوية في سورة الأنبياء، لتشمل تلك المعالم نطاقا واسعا لا يقتصر على زمن معين، ويمتد إلى يوم القيامة، فتكون منارا للأجيال ومنهلا للهداية والإصلاح، وقد اتُبِع في هذا البحث المنهج التحليلي والموضوعي للآيات الواردة، من خلال تفسير الآية بالقرآن، والسنة، وما أُثر عن الصحابة والعلماء، والاختلاف في روايات القراء، وتحليل الآية لغويا بما يخدم الكشف عن معناها، وبما يتناسب مع وحدة موضوع الرسالة.

فبرز من خلال ما تقدم أهم الأسس التي قام عليها علم الدعوة، والتي تتعلق بموضوع الدعوة: من مقاصد، وثمار مترتبة على تحقيق تلك المقاصد، ومن الأسس أيضا ما يتعلق بالداعية: فبرزت أهم الأساليب والمناهج الدعوية التي يحتاجها الدعاة في دعوتهم، وكذلك ما يتعلق بالمدعو: لتظهر ردود أفعال المدعويين الناتجة عن تلقيهم الدعوة، فينقسم المجتمع المدعو: إلى مؤمن مصدق، وكافر مكذب، ومنافق متلون، وما هي المواقف التي اتخذها الأنبياء تجاه أقوامهم، في معالجة ردود الأفعال تلك.

الكلمات المفتاحية: (معالم الدعوة، سورة الأنبياء، الداعي، الأنبياء)

ABSTRACT

Thesis Title: The Features of the Islamic Da'wah in Surat AL-Anbiyā

Author: Abdelaziz Yassin Mohamed saeed Kassab Bashi

Supervisor: Asst.Prof. Hekmkt allah Ertash

Department: Islamic Sciences

Thesis Type: Master

Date:

One of the most important purposes for which the research aims is to highlight the advocacy features in Surat AL-Anbiyā' so that these landmarks include a wide range that serves the da'wah since the time of the revelation of the surah and until God inherits the earth and those on it, so that it will be a beacon for generations and a source of guidance and reform. In this research, the analytical and objective approach was followed For the incoming verses, through the interpretation of the verse in the Qur'an, the Sunnah, and what was influenced by the Companions and scholars, the difference in the narrations of the readers, and the linguistic analysis of the verse in a way that serves to reveal its meaning, and in proportion to the unity of the subject (da'wah).

Through the foregoing, the most important foundations on which the science of da'wah is based, which is related to the subject of da'wah, emerged: the purposes and the fruits that result from the realization of those objectives, and from the foundations also what is related to the da'wah: the most important methods that the da'wah need in their da'wah emerged, as well as what is related to the one who is called To show the reactions of the invitees resulting from their receiving the invitation, the invited society is divided into: a believing believer, a lying infidel, and colorful hypocrite.

What are the attitudes of the prophets towards their people, in dealing with those reactions?

Keywords: (Features of Inviting to Islam, Surat AL-Anbiyā, Prophets)

ÖZETİ

Tez Başlığı: Enbiya Suresine Göre İslâm'a Davetin Özellikleri

Hazırlayan: Abdülaziz Yasin Muhammed Said Kassap Başi

Danışman: Dr. Öğretim Üyesi Hikmetullah Ertaş

Bilim Dalı: Temel İslam Bilimleri

Tez Türü: Yüksek Lisans

Onay tarihi:

Araştırmanın temel amacı Enbiya Suresi'nde bahsedilen ve kıyamete kadar geçerliğini devam ettirecek olan "davet" kavramının temel parametrelerini tespit etmektir. Bunlar tüm kuşaklara yol gösterici birer ışık, onları hidayete ve ıslaha yönlendiren kaynak mesabesindedirler.

Çalışmada konusu Enbiyâ suresindeki ayetler; diğer ayetler, sünnet, sahabe ve sonraki nesillerce aktırılan menkulât çerçevesinde; dilbilimsel özellikler, kıraat farklılıkları ve bağlam göz önünde bulundurularak tefsir edilmiş tahliller yapılarak nesnel "davet" parametreleri tespit edilmeye gayret edilmiştir.

Böylece çalışmada davetin temel esasları ve hedefleri, davetçinin özellikleri ve izleyeceği metod ile daveti kabul veya ret neticesinde mümin-kafir-münafık tiplemeleri ayrıca Peygamberlerin inkarcı toplumları ıslah etmedeki durumları üzerinde durulmuş değerlendirmeler yapılmıştır.

Anahtar Sözcükler: (Davetin Özellikleri, Enbiyâ Suresi, Davetçi)

الرموز المستخدمة

اقتباس النص: " "

الطبعة: ط

هجري: هـ

ميلادي: م

بدون بلد: د.ب

بدون تاريخ: د.ت

بدون دار: د.د

المقدمة

الحمد لله حمداً يصحبه العجز عن أداء شكر نعمة الحمد، فضلا عن سائر نعمه التي لا تحصى ولا تعد، والصلاة والسلام على حبيبنا وقرة أعيننا سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم الأسعد الأمجد، عرفنا النور به ولولاه ما هدينا ولا فزنا بالصراط المستقيم الأوحد، وعلى آله الكرام وأصحابه الأعلام منهل التقى باب العلم الذي لا يسد، وبعد:

إن الدعوة إلى الله تعالى عبادة جليلة من أجل العبادات وأحسنها؛ لأنها سير في مهمة اختارها الله عز وجل لأنبيائه، وتبليغ عن ذاته العلية، قال الله تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" فصلت: 33، ولأهمية الدعوة جاء الأمر الإلهي الكفائي للأمة بحمل الرسالة العالمية للناس كافة: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" آل عمران: 104، ولا شك أننا بأمسّ الحاجة إلى تفعيل دور الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لنتدارك ونصلح ما فسد في زمان ظهر فيه الفساد وعزت الحكمة، لذلك كان هذا الشرف وهذه الحاجة دافعا مهما للخوض في هذا المضمار الجليل، واستخراج هذه النفائس من سورة الأنبياء التي ضمت بين آياتها معالم دعوية كثيرة، وورد فيها ذكر ثمانية عشر نبي ما بين إيجاز وتفصيل؛ ليصوروا نموذج القدوة لدعاة الأمة، فكان هذا هو سبب الاختيار الذي وقع على هذه السورة من بين سور القرآن الكريم.

أسئلة الدراسة: إن من أهم ما يدور من أسئلة في هذه الدراسة هو:

س1ـ ما هي أهم الأسس التي تتعلق بموضوع الدعوة في سورة الأنبياء؟

س2ـ ما هي أبرز الأمور التي تخص الداعي في سورة الأنبياء؟

س3ـ ما هي أحوال المدعوين الناتجة عن تلقي الدعوة؟ وكيفية معالجتها في سورة الأنبياء؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة من خلال البحث وتحليل الآيات في سورة الأنبياء إلى:

1. إبراز أهم الأسس التي قامت عليها الدعوة إلى الله تعالى في سورة الأنبياء.
2. الوقوف على الأمور المتعلقة بالداعي إلى الله تعالى، والتي لا غنى له عنها في مجال دعوته.
3. معرفة أحوال المستهدفين في الدعوة، وما هي المواقف السليمة في معالجتها.

أهمية الدراسة: إن المواضيع التي دار عليها البحث لها من الأهمية البالغة في مجالي التفسير والدعوة، حيث أوضحت الدراسة ما جاء في سورة الأنبياء من أقوال المفسرين ومناقشتها علميا، وكذلك بينت مقاصد الدعوة، وثمارها، وأساليبها، والمناهج الدعوية لدى الأنبياء عليهم السلام، والمواقف التي اتخذت في معالجة كثير من العقبات التي تعرض للدعاة.

كما حرص الباحث في هذا البحث على أن يكون له شخصية مستقلة في التفسير، وذلك من خلال التدبر والتحليل للنص، ومناقشة الآراء السابقة للعلماء والرد عليها، وبسط ما ذهب إليه بالدليل.

لذا يعد هذا البحث إضافة لما جاء سابقا؛ لأن الكثير مما ورد فيه لم يذكر في كتب التفسير الأخرى، حيث يعتبر أسلوبا جديدا في تتبع فهم النص واستخراج الدرر المكنونة منه.

هذا وإن كان ما ذكر فهو رأي من سعى، إلا أن التقييم يبقى لأهل العلم، والله أعلى وأعلم، لكن أرجو أني قد وفقت وأضفت شيئا جديدا يخدم العلم وأهله، وننال به الرضوان.

منهج البحث: اعتمدنا في هذا البحث منهجين:

الأول: المنهج التحليلي: حيث اعتمدنا في تحليل الآيات على تفسير القرآن بالقرآن، وعرض الآية على السنة النبوية الشريفة، وما جاء من آثار عن الصحابة وسلف الأمة، وأقوال العلماء فيها، ولجأنا في بعض الأحيان إلى التحليل البلاغي،

واللغوي، وما ورد من اختلاف في الروايات عن القراء، وذلك خدمة وتوظيفا للوقوف على معنى الآية، وبما يتناسب مع موضوع الدعوة.

الثاني: المنهج الموضوعي: فكان العمل على إبراز وحدة الموضوع وذلك من خلال الوقوف على المعالم الدعوية في سورة الأنبياء.

فكل آية حملت معلما دعويا تم بيان (المعنى العام) لها أولا، ثم إبراز (المعلم الدعوي) المستنبط منها.

حدود البحث: اقتصر البحث على الحد الموضوعي، وهو في إطار المعالم الدعوية ضمن حدود سورة الأنبياء فقط، ولم يخضع لحد زماني، أو مكاني؛ وذلك لأن موضوع الدعوة، لم يحد بزمان ولا مكان معين، فالدعوة قائمة منذ بدء الخليقة وإلى قيام الساعة.

الدراسات السابقة: من خلال البحث والمطالعة في (المكتبة الأمينية) العراق - الموصل، وبرنامج المكتبة الشاملة، والجهات العلمية المعنية بالتفسير الموضوعي، والدراسات الدعوية، والشبكة العنكبوتية (الأنترنت)، لم نجد من كتب في هذا الموضوع بالخصوص، إلا أنه كان هناك بعض البحوث والدراسات التي تناولت بعضا من الجوانب الدعوية لبعض من سور القرآن الكريم، وهي:

1. معالم الدعوة الإسلامية كما رسمتها سورة العنكبوت لدعاة الإسلام وحملته، د. محمد أمين حسن محمد بني عامر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك ـ الأردن، 2004م.

تناولت هذه الدراسة الجانب الدعوي، معتمدة في ذلك على المواقف التي حصلت في زمن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم والتي جاء ذكرها في السيرة والحديث والآي القرآني، مع غياب جانب التفسير التحليلي للنص.

2. معالم الدعوة في سورة نوح ، صالح بن يحيى، جامعة القاهرة ـ كلية دار العلوم، 2005م.

اشتملت هذه الدراسة على تناول معالم الدعوة في سورة نوح، وذلك فيما يتعلق بمهمة الدعاة، وأسلوب الداعية، وصبره، وحرصه، وكذلك في وصف أساليب المكذبين، ونهايتهم، كل ذلك كان بشكل مختصر من غير تفصيل، لذا غاب كثير من الدروس المستفادة في مجال الدعوة.

3. أسس الدعوة إلى الله في ضوء صدر سورة المدثر، د. عبد الله أحمد الزيوت، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، 2017م.

وقفت هذه الدراسة على المعنى المراد لأسس الدعوة إلى الله، محاولة إبراز هذه الأسس من خلال ما جاء في صدر سورة المدثر، والدراسة هذه اعتمدت الدمج بين تحليل النص لغويا وبين عرض أقوال المفسرين وبين معنى الأسس الدعوية، ولم تفصل بين تحليل الآية وبين استنباط الأسس الدعوية.

الفجوة البحثية: غطت هذه الدراسة، أصول الدعوة الثلاثة: (موضوع الدعوة، الداعي، المدعو) في سورة الأنبياء، فكل آية حملت معلما يصب في هذه الأصول أو ما يتفرع عنها تم تناولها تفسيرا تحليليا ليُستنبط بعدها المعلم الذي دلت عليه، في حين أن الدراسات السابقة لم تغط تلك الأصول معاً، بل اقتصرت على بعض منها أو جزئية من جزئياتها، وكذلك أغلب هذه البحوث تناولت الجانب الدعوي المحض، إذ لم يظهر عليها اللمحة التفسيرية للنص القرآني، إلا أنني استفدت منها إذ كانت بمثابة ومضة نتج عنها الكثير.

2021\...\...

عبد العزيز ياسين محمد سعيد قصاب باشي

هيكل البحث

مهدنا لهذا البحث بتعريف مصطلحات العنوان، والتعريف بالسورة، وكل ما هو متعلق بها من تسمية، ومكان النزول، وترتيبها بين السور، وعدد آياتها، وأسباب النزول، وما ورد في ذكر فضلها، والمناسبات فيها، ومع السور قبلها وبعدها، والمواضيع التي تناولتها السورة، ثم شرعنا في عرض موضوع البحث، والذي تضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تناولنا موضوع الدعوة في مبحثين، المبحث الأول: مقاصد الدعوة، والذي تضمن ثلاثة مطالب: تحقيق التوحيد، والهداية والإصلاح، وإقامة الحجة، ثم المبحث الثاني: ثمرات الدعوة، والذي تضمن ثلاثة مطالب: الوصول إلى مرضاة الله تعالى، واستجابة الله تعالى للمخلصين في الدعوة، والمِنح والعناية الإلهية بالدعاة.

الفصل الثاني: تناولنا ما يخص الداعي في مبحثين، المبحث الأول: أساليب الدعوة، والذي تضمن ثلاثة مطالب: الأساليب العقلية، والأساليب العاطفية، والأساليب الحسية، ثم المبحث الثاني: دعوة الأنبياء عليهم السلام (سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجا) والذي تضمن مطلبين: جانب من صفاته الدعوية، وجانب من منهجه الدعوي.

الفصل الثالث: تناولنا ما يخص المدعو في مبحثين، المبحث الأول: طبيعة المكذبين ونهايتهم، والذي تضمن ثلاثة مطالب: الإعراض عن الدعوة، والتآمر على الدعاة والدعوة إلى التمسك بالباطل، ونهاية المكذبين، ثم المبحث الثاني: موقف الداعية من المكذبين، والذي تضمن ثلاثة مطالب: التوجه إلى الله تعالى وإحالة الأمر إليه، والدعاء للمكذبين أو عليهم، ودعاء النبي لنفسه ومن حوله.

تمهيد

أ ـ التعريف بمصطلحات العنوان

المعالم لغويا: مفرده مَعْلَم، وهو الأثر الذي يتخذ علامة يستدل به على الطريق، وفي الحديث، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد"[1]، ومعالم حضارية: أي آثار وشواهد يستدل من خلالها على حضارة ما، كانت قائمة في زمن من الأزمان، لدى أمة من الأمم[2].

تعريف إجرائي: لم أجد لهذا المصطلح تعريفا في كتب الاصطلاح، لذا أقول: هي العلامات التي يستدل بها على الأمر المراد أو المطلوب، دلالة ظنية.

الدعوة لغويا: كلمة الدعوة جاءت مشتقة من الفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة، فالدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تستميل الشَّيءَ إليك بصوت وكلام أو تصرف يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاءً.

وداعِية اللَّبن: ما يُترَك في الضَّرع من اللبن، وهذا تفصيل لما ذكرته في التعريف في كلمة "أو تصرف" فترك شيء من اللبن في الضرع تصرف يدعو ما بعده من درٍّ للّبن.

وتداعَت الحِيطان، وذلك إذا سقط الأول وتبعه الآخر فالآخر، وكأن الأول قام بدعوة من بعده فكان سببا في سقوطها، ودَوَاعِي الدَّهر: صُروفه، وكأنها تدعو الحوادث دعوا."[3].

الدعوة اصطلاحا لها معنيان:

الأول: بمعنى التبليغ والإخبار والتذكير، وهي بهذا المعنى تعد عِلما له استقلاليته وموضوعه وأهدافه وخصائصه، قال الله تعالى: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

(1) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، *صحيح مسلم* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، "باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة" 2150/4.

(2) ينظر: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي، *تهذيب اللغة* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 212/2، ينظر: زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، *مختار الصحاح* (بيروت: دار الفكر، 1995م)، 467/1. ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، *لسان العرب* (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 416/12.

(3) ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة* (بيروت: دار الفكر، 1979م) 279/2.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"[4]، "وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"[5].

الثاني: بمعنى الدين الإسلامي بأحكامه وتعاليمه، قال الله تعالى: "لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"[6].

لذلك لا بد من بيان التعريف الاصطلاحي لكل معنى.

الدعوة بمعنى التبليغ:

- "هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيَّة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"[7].

- "هي جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر"[8].

- "هي إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه"[9].

الدعوة بمعنى الدين الإسلامي:

"هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظها في القرآن الكريم، وبينها في السنة النبوية"[10].

---

(4) النور: 54/18.
(5) يس: 17/22.
(6) الرعد: 14/13.
(7) أحمد أحمد غلوش، *الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها* (القاهرة: دار الكتاب المصري، ط1987/2م)، 10.
(8) محمد السيد الوكيل، *أسس الدعوة وآداب الدعاة* (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ت)، 9.
(9) محمد الخضر حسين، *الدعوة إلى الإصلاح* (القاهرة: المطبعة السلفية، ط1/ 1346هـ)، 17.
(10) غلوش، *الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها*، 13.

السورة لغويا: "س و ر: السُّورُ حائط المدينة وجمعه أسْوارٌ وسِيرانٌ، والسُّورُ أيضا جمع سُورَةٍ مثل بُسْرة وبُسْر وهي كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع سُوَرٌ بفتح الواو، ويجوز أن يجمع على سُورَاتٍ بسكون الواو وفتحها"[11].

السورة اصطلاحا: هي الطائفة من القرآن التي ضمت بين مبتداها ومنتهاها مجموعة من الآيات لا تقل عن الثلاث، وسميت باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه وآله وسلم[12].

الأنبياء لغويا: "النبيء: المخبر عن الله تعالى، وترك الهمز المختار، ج: أنبياء نبآء وأنباء والنبيؤن، والاسم: النبوءة، وتنبأ: ادعاها"[13].

"النبأ، مهموز: الخبر، وإن لفلان نبأ: أي خبرا، والفعل: نبأته وأنبأته واستنبأته، والجميع: الأنباء"[14].

فالأنبياء: جمع مفرده نبي وهو من النبوة، والنبوة اشتقاقها من النبأ أي الخبر، كما ورد في قوله عز وجل: "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ"[15]، وقال ذو الرمة يهجو قوما:

زُرْقُ العُيون إذا جاوَرْتَهم سَرَقُوا ... ما يَسْرِقُ العَبْدُ أَو نَابأْتَهم كَذَبُوا

نَابأْتَهم بمعنى أخبرتهم، ويأتي معنى النبوة أيضا: من الشرف والعلو والارتفاع، فأشرف الأرض ما علا وارتفع منها[16].

الأنبياء اصطلاحا: "النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه، وكذا الرسول، وقد يخص بمن خص بشريعة وكتاب"[17].

---

(11) الرازي، *مختار الصحاح*، 326/1 .

(12) ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 82. ينظر: محمد محمد أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم* (الرياض: دار اللواء، ط3/ 1987م)، 320.

(13) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 98/1.

(14) الخليل بن أحمد الفراهيدي، *العين* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 179/4.

(15) النبأ: 1/30-2.

(16) ينظر: ابن منظور، *لسان العرب*، 150/1. ينظر: الهروي، *تهذيب اللغة*، 487/15.

ب ـ بين يدي سورة الأنبياء

اسمها: سميت هذه السورة المباركة بالإجماع باسم واحد لا ثاني له ألا وهو "الأنبياء"، فقد ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هنّ من العتاق الأول، وهن من تِلادي"[18]، تِلادي: أي مما حفظ قديما، فالعرب تقول على المال القديم: هذا من تلاد أجدادي[19].

سبب تسميتها: أكثر سورة ورد فيها أسماء الأنبياء سورة "الأنعام"، إذ بلغ عددهم فيها ثمانية عشر نبياً، وبعدها تأتي سورة الأنبياء، ورغم ذلك لم تسمّ سورة الأنعام بسورة الأنبياء؛ قال الإمام العلامة ابن عاشور رحمه الله: "فإن كانت سورة الأنبياء هذه نزلت قبل سورة الأنعام فقد سبقت بالتسمية بالإضافة إلى الأنبياء"[20].

---

(17) سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، *شرح المقاصد* (بيروت: عالم الكتب، ط1998/2م)، 5/5.

(18) أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، *صحيح البخاري* (القاهرة: دار الشعب، ط1987/1م)، "باب تفسير سورة الأنبياء"، 121/6.

(19) ينظر: الرازي، *مختار الصحاح*، 79/1.

(20) الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، *التحرير والتنوير* (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، 5/17.

وهذا كلام فيه نظر؛ لأننا نعلم أن علم الله تعالى أزلي سابق لزمان نزول القرآن الكريم، وأسماء السور كلها توقيفية وإن تعددت، فهي منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رب العزة تبارك وتعالى، وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء منهم الإمام الطبري والسيوطي، ونفسه الإمام ابن عاشور إذ قال: "وأما أسماء السور فقد جعلت لها من عهد نزول الوحي"[21]، فهي توقيفية وليست اجتهادية حتى يعتمدوا في التسمية على سبق النزول، والله أعلم.

لذلك أرى أن السبب في أمرين:

الأول: لتكرر ذكر الأنعام وأحكامها عدة مرات بشكل لم يرد في غيرها، فكان الأولى أن تسمى باسمها.

الثاني: جاء ذكر الأنبياء فيها مجتمعاً ومختصراً في أربع آيات: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ"[22]، دون التطرق إلى منهجهم وحياتهم الدعوية والتي هي أصل الوجود؛ لقوله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[23]، بينما سورة الأنبياء أبرزت معالم دعوتهم وصبرهم وتضحيتهم في سبيل الله وتبليغ الدعوة لهداية البشرية في ثلاث وأربعين آية، من الآية (48) إلى الآية (91)، لذا كانت هي الأولى بالتسمية من غيرها، حيث ورد فيها سبعة عشر نبيا، كلهم ذكروا صراحة بأسمائهم إلا سيدنا عيسى عليه السلام ذكر ضمنا مع أمه الصديقة مريم عليها السلام.

(21) المصدر السابق، 90/1.
(22) الأنعام، 83/7 - 86.
(23) الذاريات، 56/27.

تعريفها: هي سورة مكية بالإجماع، نزلت قبل الهجرة، وهي السورة الثالثة والسبعون في ترتيب النزول، والحادية والعشرون في ترتيب المصحف العثماني، حيث تقع بداية الجزء السابع عشر بعد سورة طه وقبل سورة الحج، وتعرف من المئين، عدد آياتها: مئة واثنتا عشرة آية[24].

أسباب النزول فيها:

1- "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ"[25]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أنزل الله تعالى: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"[26] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نرى شيئا، فأنزل الله تعالى: "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ"[27] فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به، فأنزل الله تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ"[28] فوثب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفع الناس رؤوسهم، فنزل: "فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ" فاطمأنوا، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "بعثت أنا والساعة كهاتين، يعني إصبعين"[29].

2- "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ"[30]، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: "لما نزلت "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ"[31] فقال المشركون: الملائكة وعيسى وعزير يُعبدون من

(24) ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن* (بيروت: دار الفكر، ط1/ 2019م)، 145/6. ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، *معارج التفكر ودقائق التدبر* (دمشق: دار القلم، ط1، د.ت)، 241/14.
(25) الأنبياء، 1/17.
(26) القمر، 1/27.
(27) الأنبياء، 1/17.
(28) النحل، 1/14.
(29) البخاري، "باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين"، 132/8. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، *أسباب النزول* (القاهرة: دار الاتحاد العربي للطباعة، 1968م)، 278/1، لم أقف عليه في كتب السنة.
(30) الأنبياء، 101/17.
(31) الأنبياء، 98/17.

دون الله فقال: لو كان هؤلاء الذين يعبدون آلهة ما وردوها قال: فنزلت "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ" عيسى وعزير والملائكة"[32].

وزاد الطبراني في رواية أخرى: أن الذي خاصم في الآية: "إنكم وما تعبدون..." هو عبد الله بن الزبعري[33].

قال الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني رحمه الله:

"لم أرتح إلى ما وسع فيه بعض المفسرين من بيان سبب النزول، ومجادلة ابن الزِّبَعْرَى الرسولَ ﷺ حول كون بعض المعبودين من الملائكة، وبعض البشر الصالحين، إذ هم لا يدخلون في: "وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ"، لأن "ما" لا تقع على ذي العلم والعقل، ومثل هذا لا يخفى على عرب الحجاز"[34].

وهذا كلام فيه نظر لأن "ما" لها عدة معان، من تلك المعاني أنها تأتي اسمًا موصولًا، وتستخدم للعاقل ولغير العاقل، قال ابن عقيل: "وأكثر ما تستعمل "ما" في غير العاقل، وقد تستعمل في العاقل ومنه قوله تعالى: "فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى...[35]"[36].

إذاً (ما) تستخدم للعاقل وغيره، ونحن نعلم جيدا أن مقصود الله عز وجل بها في هذه الآية لغير العاقل، لكن كفار قريش ربما أدركوا المقصود وأظهروا التغافل؛ ليماروا ويجادلوا كعادتهم: "مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون"[37]، أو أنهم لم يدركوا على اعتبار أنها تستخدم عندهم للعاقل وغيره، فأعماهم فرح مخاصمتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء الرد الإلهي ليبين لهم

(32) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 417/2، قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(33) ينظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبري، *المعجم الكبير* (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت)، 153/12.
(34) الميداني، *معارج التفكر ودقائق التدبر*، 375/14.
(35) النساء، 3/4.
(36) ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* (القاهرة: دار التراث، ط1980/20م)، 147/1.
(37) الزخرف، 58/25.

عجزهم وخزيهم، ويستثني منهم الذين سبقت لهم الحسنى من الملائكة والأنبياء والصالحين.

فضلها: إن جميع السور في القرآن الكريم حوت أسرارا وفضائل عديدة، منها أدركناه بالنص والآثار، والأعظم ما خفي عنا؛ لأن هذا القرآن معجز، يحيط ولا يحاط، وسر الأكوان مطوي فيه، لكن هناك فضائل خاصة لكل سورة، ومما خصت به سورة الأنبياء:

1- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هنّ من العتاق الأول، وهن من تِلادي"[38] والمراد تفضيل هذه السور ومن بينها سورة الأنبياء لما حوت من أخبار الأنبياء عليهم السلام.

والعتاق: جمع عتيق وهي كلمة مدح تدل على الفضل والأصالة ولهذا نجد أن الله تعالى سمى بيته بالعتيق: "وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ"[39]؛ لفضله وأصالته فهو البيت الأول الذي وضعه الله للناس[40].

2- ما ورد عن عامر بن ربيعة: أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه وكلَّم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واديا ما في العرب بواد أفضل منه، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك، قال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُم وَهُم في غَفلةٍ مُعْرِضُونَ"[41]، لم أقف على الحديث في كتب السنة، لكن ما حمله من معاني سامية لا تتنافى مع الشرع والعقل دفع كثير من علمائنا المفسرين إلى إيراده في فضل هذه السورة كابن كثير والسيوطي والآلوسي وغيرهم رحمهم الله.

---

(38) البخاري، "باب تفسير سورة الأنبياء" 237/3.
(39) الحج، 29/17.
(40) ينظر: الرازي، *مختار الصحاح*، 272/1.
(41) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الشافعي الأصفهاني، *حلية الأولياء* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 235/1.

3ـ حوت هذه السورة جملة من الأدعية للأنبياء عليهم السلام وتضرعهم، فما من مهموم ومكروب وذي حاجة تطرق هذه الأدعية سمعه إلا نزلت بلسما على جرحه، وكأنه وجد ضالته لما فيها من جمال الذل والانكسار لله، ومعرفة عجز العبد وفقره إلى الغني عز وجل، ومن هذه الأدعية:

1ـ دعاء سيدنا أيوب عليه السلام: "وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"[42].

2 ـ دعاء سيدنا يونس عليه السلام: "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"[43]، عن محمد بن سعد عن أبيه عن جده قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ألا أخبركم أو أحدثكم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلاء الدنيا دعا به فرج عنه"؟ فقيل له: بلى، قال: "دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"، وفي رواية للحاكم: "أنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له"[44].

3 ـ دعاء سيدنا زكريا عليه السلام: "وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ"[45].

مواضيعها: تناولت هذه السورة المباركة مواضيع عدة جسدت منهاجا دعويا متكاملا لكل مَن حمل الرسالة على عاتقه ويريد تبليغها على الوجه الأمثل من حيث التزود بالمعرفة والحكمة، والطرح السليم بما يناسب العقول، والثبات على الحق ومواجهة العقبات...الخ، فهي بمثابة كنز حوى الجواهر على أفضل أنواعها وأحسن أشكالها، حيث تناولت:

---

(42) الأنبياء، 83/17.
(43) الأنبياء، 87/17.
(44) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، *السنن الكبرى*، "باب ذكر دعوة ذي النون" (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 168/6. النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين*، 414/2، قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(45) الأنبياء، 89/17.

1- الأسس العقدية الرئيسة للدين الإسلامي الحنيف المنبثقة من أركان الإيمان، كالدعوة إلى وحدانية الله وبيان عظمته، ووجود الملائكة تلك المخلوقات النورانية التي لا تعرف سوى الامتثال لأمر الله تعالى، وأن هناك كتب سماوية نزّلها الله تعالى بعد أن كتب فيها منهاج الحياة وسنن الكون، وآتاها رسله ليثبت نبوتهم ورسالتهم، هداية وإنقاذا للبشرية من الوقوع في مهاوي الردى والزيغ عن شرعة الله تعالى، وبعد كل هذا سيمر الكل في المصير المحتوم ألا وهو الرجوع إلى الله في يوم البعث والجزاء وهو قريب لدرجة أن الغافل لن يشعر به وبقدومه لشدة قربه منه.

2- إثبات الأمور العقدية بالأدلة والبراهين الكونية الكبرى في السموات والأرض ملامسة للعقول لعلها تتفكر، وأنه لو كان إلها آخر غير الله لفسد الكون بأسره.

3- منهج الترغيب ورفع الهمم من خلال تثبيت قلوب المؤمنين بسير الأنبياء، وأن الحق ظاهر ودامغ مهما كانت الأسباب ضعيفة وأن الباطل يخبو ويُدمغ مهما علا ضجيجه، وأن الأرض لله يرثها الصالحون من عباده.

4- منهج الترهيب في تحذير المشركين، من خلال النذر وعرض العاقبة الوخيمة للأمم التي عتت عن أمر ربها، وأن هذا الكبر وعدم التصديق بالرسل سيخرجهم من الدنيا بوفاض ليته خاليا وصفرا فحسب وإنما دركات دون ذلك.

مناسبة سورة الأنبياء لما قبلها: ختمت سورة طه بإنذار المعرضين، بأنهم سيعلمون من أصحاب الصراط السوي، ومن هم أهل الشقاء، "قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى"[46]، لتناسب افتتاح سورة الأنبياء بقرب اليوم الذي يتم فيه كشف الحساب ويتضح فيه الشقي من السعيد،

(46) طه، 135/16.

فقال تعالى: "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ"[47]، فكان ذلك بمثابة تأنيس من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين من حوله[48].

كذلك في نهاية السورة السابقة: "وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى"[49]، ناسب ذلك ما ذكره الله تعالى في سورة الأنبياء: "مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ"[50]، فذكر أنه بعث إليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنزل معه الآيات، لكنهم كذبوا وأعرضوا[51].

وأضيف على ذلك، جاء في مطلع سورة طه أن الله عز وجل ما أنزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين ليشقوا، وإنما هو تذكرة لمن يخشى: "إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى"[52] فهم من خشية الله يتقلبون في أمانه ورحمته، أما من وصفهم الله تعالى في بداية سورة الأنبياء بالغفلة والإعراض واللعب واللهو، كان الذكر شقاءً لهم؛ لأنه يعدهم بنهايتهم الوخيمة وقرب الحساب.

مناسبة بداية سورة الأنبياء مع خاتمتها: ابتدأت السورة بقوله تعالى: "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ"[53]، وجاء في خاتمتها قوله عز وجل: "وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ"[54]، أي دنا الوعد وأضلهم الحساب الذي وُعدوا به[55].

مناسبة سورة الأنبياء لما بعدها: جاء في أواخر سورة الأنبياء الكلام عن البعث: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا

---

(47) الأنبياء، 1/17.
(48) ينظر: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، *نظم الدرر* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 63/5. ينظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، *البرهان في تناسب سور القرآن* (الدمام: دار ابن الجوزي، ط1/ 1428هـ)، 130.
(49) طه، 134/16.
(50) الأنبياء، 2/17.
(51) ينظر: أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري ، *جواهر البيان في تناسب سور القرآن* (مكتبة القاهرة: مطبعة محمد عاطف، د.ت)، 63.
(52) طه، 3/16.
(53) الأنبياء، 1/17.
(54) الأنبياء، 97/17.
(55) ينظر: الحافظ جلال الدين السيوطي، *مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع* (الرياض: دار المنهاج، ط1/ 1426هـ)، 55.

فَاعِلِينَ"[56]، وهذا حدث عظيم يحتاج إلى استعداد، فناسب هذا، الأمرَ بالتقوى في مطلع سورة الحج: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ"[57] استعدادا للبعث والنشور[58].

1. الفصل الأول: معالم الدعوة فيما يخص موضوعها

إن موضوع الدعوة كما هو معلوم، هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله عز جل للبشرية وأوحاه إلى رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ"[59].

ولما كان الإسلام هو موضوع الدعوة، فلا بد أن يكون له مقاصد، من أهمها: تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، وهذا ما نستلهمه من نصوص الشريعة في

(56) الأنبياء، 104/17.
(57) الحج، 1/17.
(58) ينظر: البقاعي، *نظم الدرر*، 129/5. ينظر: الغماري، *جواهر البيان في تناسب سور القرآن*، 64.
(59) الصف، 7/28.

جلب المصالح ودرء المفاسد؛ ليحيا الإنسان معنى السعادة الحقة في الدارين، وهذا أيضا ما صرح به علماء الأمة، قال العز بن عبد السلام: "والشريعة كلها نصائح: إما بدرء مفاسد أو بجلب مصالح"[60]، وقال الشاطبي في موافقاته: "إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا"[61].

فالإسلام كله، بأحكامه وأوامره ونواهيه التي وردت في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، مبناه على جلب الخير ودفع الشر عن بني آدم عليه السلام، رحمة ورأفة بهم، وهذا ما أجمله الله عز وجل في بيان العلة من إرسال رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[62]، فكان عليه الصلاة والسلام، ورسالته رحمة للعالمين، وحرص غاية الحرص على تحقيق المصالح للعباد، وذاد منتهى الذود في درء المفاسد والضرر عنهم، حتى قال له ربه: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[63]، "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"[64].

(60) عز الدين عبد العزيز عبد السلام، *القواعد الكبرى* (دمشق: دار القلم، د.ت)، 14/1.
(61) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، *الموافقات* (السعودية: دار ابن عفان، ط1/ 1417هـ - 1997م)، 9/2.
(62) الأنبياء، 107/17.
(63) القصص، 56/20.
(64) فاطر، 8/22.

1.1. مقاصد الدعوة

إن العلم بمقاصد الدعوة له من الأهمية ما ينير به الطريق للناس عامة، وللدعاة خاصة؛ لأن الناس إذا فهموا المقاصد ساعد ذلك على تسابقهم في تحصيل المصالح وتعاضدهم في درء المفاسد، كما أن فهم المقاصد يسهل على الداعية تقديم الأولى فالأولى، تقديم المصلحة العامة على الخاصة، تقديم الضروريات على الحاجيات، والحاجيات على التحسينات.

وإلى جانب أهمية العلم بالمقاصد والأهداف تكمن خطورة الجهل بها، قال البيانوني: "إن عدم فهم الأهداف، قد يوقع الداعية في الانحراف عن طريقه، أو يجعله يتخبط في أساليبه، أو يقطعه عن الاستمرار في دعوته، كما هو ملاحظ في واقع كثير من الناس"[(65)]، وللأهمية والخطورة المترتبة على ذلك جاء التفصيل والكلام عن مقاصد الدعوة في ثلاثة مطالب.

1.1.1. تحقيق التوحيد

إن تحقيق التوحيد من أعظم المقاصد وأسمى الغايات التي يسعى إليها الداعي إلى الله عز وجل، ويرخص في سبيلها الغالي والنفيس، ولو تأملنا في نصوص القرآن الكريم لوجدنا أن التركيز الكبير يدور حول مقصد تحقيق التوحيد، فهو القضية الكبرى في موضوع الدعوة بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم.

(65) أ. د. محمد أبو الفتح البيانوني، *المدخل إلى علم الدعوة* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3/ 1435هـ - 2014م)، 202.

وسنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على تحقيق التوحيد في سورة الأنبياء، والتي جاءت في تسع آيات:

"أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ"[66].

ـ المعنى العام: لما عطل المشركون نعمة العقل، جاء الاستفهام الإنكاري[67]، كيف رضي هؤلاء السفهاء المشركون بتعطيل عقولهم، واتخذوا آلهة صنعوها بأيديهم من خراج الأرض، لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا فضلاً عن أن تنشر الموتى وتحييهم.

ثم عرج الله تعالى بالدليل العقلي على إثبات وحدانيته ردا على شركهم، وتحريكا لتلك العقول العاطلة.

لو كان في الكون كله أرضه وسمائه آلهة غير الله تعالى لاختلَّ النظام الكوني؛ لأن تعدد الآلهة يفضي إلى المنازعة، ولفسدت السموات والأرض، لكن تنزّه الله الواحد، ذو الإرادة المطلقة الواحدة، رب العرش الواحد، عما يصف الكافرون من نقائص.

ـ المعلم الدعوي: هنا دلت الآية على تحقيق مقصد التوحيد من خلال بسط الدليل العقلي الذي لا يستطيع أن ينكره أي ذي لب ورأي سديد.

ـ إشارة: إذا كان في قلب الدعاة غير الله عز وجل لفسد القلب والدعوة؛ لأن الإنسان بقلبه، كون بذاته، فإذا حوى القلب شريكا مع الله، فسد ومعه سائر الجسد، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "....ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" [68].

لذلك كان على الدعاة إلى الله أن لا يغلّبوا في قلوبهم هوى النفس على مراد الله في دعوته، سلامة للقلب وللدعوة.

---

(66) الأنبياء، 21/17 - 22.

(67) ينظر: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم* (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 195/3.

(68) البخاري، "باب فضل من استبرأ لدينه" 28/1.

"لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ"[69].

ـ المعنى العام: السؤال هنا بمعنى المحاسبة كما في قوله تعالى: "وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ"[70]، وجاءت (يُسْأَلُ) بصيغة نائب الفاعل؛ لأن حذف الفاعل في هذا المقام يستفاد منه أمران:

الأول: التعميم، أي لا يسأل أي سائل ربَّ العرش عما يفعله.

الثاني: التقبيح، لأن الجرأة في الاعتراض على حكم الله بصيغة السؤال، غاية في القباحة والوقاحة، وفاعله أقبح من أن يسمى أو يذكر.

ـ المعلم الدعوي: أكد رب العزة تبارك وتعالى في هذه الآية على تحقق وحدانيته وتفرده في ملكه، ومن علامات الوحدانية والتفرد المطلق، أنه لا يُسأل عز وجل عن أفعاله وقضائه في خلقه، فهو مالك الملك بيده مقاليد الأمور، أما الخلق سيُسألون، ويحاسَبون، ويجزون، على كل صغيرة وكبيرة من أقوال وأعمال؛ لأنهم عبيد لسيدهم ولم يخلقوا عبثا.

ـ إشارة: هذه الآية عون للداعية في التسليم لأمر الله تعالى، والمضي قدما دون تزعزع أمام ما يواجهه من معوقات وابتلاءات معاكسة؛ لأن الشيطان غالبا ما يزين لبني آدم الاعتراض على قدر الله تعالى إذا خالف الأمر ما هو مُخطِط له، أو كان الأمر مواتيا بجانب من أعرض وحارب الله، فتأتي "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ" لتلجم الشيطان، وتملأ النفس سكينة، والقلب يقينا بحكمة الله البالغة، فالداعية عليه أن يبذل ما كلف به، والنتائج يتولاها الله تعالى، فهو ناصر دينه والمؤمنين من عباده.

"أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ"[71].

ـ المعنى العام: "أَمِ اتَّخَذُوا" تكررت هذه الصيغة مرتين بشكل قريب متتالي؛ تأكيدا لخوضهم في مستنقع الشرك بالله تعالى، وتمهيدا للبينة العقلية على وحدانيته عز وجل في الأولى: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا" والبينة النقلية في الثانية في

(69) الأنبياء، 23/17.
(70) الصافات، 24/23.
(71) الأنبياء، 24/17.

قوله تعالى: "هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي"، فهذا دليل نقلي، وهو الكتب الثلاثة التي أنزلت على الرسل عليهم الصلاة والسلام والتي تثبت وحدة الدعوة في القرآن الكريم والكتب السماوية، فلا يوجد في شيء منها يدعو إلى الإشراك بالله عز وجل.

"قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ" يوجه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى تحدي وإعجاز المشركين، إن كان المنطق يقول: "البينة على من ادعى واليمين على من أنكر" فنحن ادعينا وحدانية الله وجئنا بالبينة العقلية والنقلية، وأنكرنا الشرك بالله وجئنا باليمين: "وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ"[72].

أما أنتم فهاتوا ما لديكم! أم أن آلهتكم لا برهان لها، بإيجاد مثل هذا الكون ونظامه البديع، ولا دليل عليها إذ لم تنزل كتابا ولم ترسل رسولا.

"بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ" أي أن أكثرهم لا يتبعون الحق؛ لأنهم في حالة إعراض، ولو أرادوا معرفة الحق لتتبعوا علاماته ولعلموه.

ـ المعلم الدعوي: هنا أتْبع السؤال الإنكاري الأول في الآيات السابقة بعد أن جاء بالدليل العقلي، بسؤال إنكاري ثاني ليأتي بالدليل النقلي، وهو النقل مما جاء من توحيد الله عز وجل في كتب من سبقه من الأنبياء عليهم السلام؛ تحقيقا لمقصد التوحيد ونفي الشريك عن الله تبارك وتعالى.

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ"[73].

ـ المعنى العام: جاءت هذه الآية استئنافا لما ورد في الآيات السابقة من الكلام عن التوحيد، وفيها أيضا تعميم لما خص من الكتب الثلاثة في "وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي" بقوله تعالى: "مِنْ رَسُولٍ" فشمل كل الأنبياء والرسل في هذه الآية بالوحي توحيدا وعبادة لله عز وجل[74].

---

(72) الصافات، 1/23 - 4.

(73) الأنبياء، 24/17.

(74) ينظر: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 31/7.

ـ المعلم الدعوي: أفادت هذه الآية وحدة الرسالة ووحدة الدعوة في هذا الأصل العظيم، وهو توحيد الله وإخلاص العبادة له، فكانت مهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام تبليغ وبيان هذا الأصل لأقوامهم ودعوة الناس إليه، وهكذا ينبغي للدعاة والمصلحين أن تكون هذه مهمتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

"إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"[75].

ـ المعنى العام: جاءت كلمة الأمة في هذه الآية بمعنى الملة والدين[76]، والمعنى أن هذه ملتكم ملة واحدة، وهي ملة الإسلام، ملة توحيد الله عز وجل، وامتثال أوامره، واجتناب مناهيه، وهذا ما صرح به نوح عليه السلام: "وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[77]، واعترف به الطاغية فرعون ساعة الحقيقة: "حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[78]، وكذلك لما طغى قوم لوط عليه السلام قال الله تعالى: "فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[79]، وقال تعالى: "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ"[80].

كل هذه الآيات جاءت لتؤكد أن الملة واحدة وهي ملة التوحيد، وإن اختلفت الشرائع كما في قوله تعالى: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا"[81].

"وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" والمعنى لمَ تشذون وتختلفون وفي الحقيقة دينكم واحد وربكم واحد.

ـ المعلم الدعوي: ذكرت في المعلم السابق للآية الرابعة والعشرين من سورة الأنبياء أنها أفادت وحدة الرسالة ووحدة الدعوة، ونلحظ في هذه الآية تأكيدا للمعنى ذاته، وذلك من خلال اجتماع تأكيدين، الأول حرف التوكيد "إن" والذي اقترن مع التوكيد

(75) الأنبياء، 92/17.
(76) ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 224/6.
(77) يونس، 72/11.
(78) يونس، 90/11.
(79) الذاريات، 36/27.
(80) الحج، 78/17.
(81) المائدة، 48/6.

العددي "واحدة"، لتؤكد أن هذا الأصل العظيم وهذه الكلمة العظيمة التي عليها مدار الكون كله "لا إله إلا الله" هي كلمة الإسلام العام، دين جميع الأنبياء وعماده.

"إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ"[82].

ـ المعنى العام: إنكم: هنا الضمير شمل المشركين ومن أخذ بافترائهم وبهتانهم وصار معهم، وما تعبدون من دون الله: من أصنام وأوثان لا تعقل فضلا عن أن تنفع أو تضر، وكذلك ممن عقل ورضي أن يكون رباً معبودا، وإلهاً مقصودا من دون الله ـ عز وجل ـ مثل: فرعون، "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي"[83]، "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى"[84]، لما كفر بالله ونصب نفسه ربا وإلها، ورضي أن يُعبدَ، كانت النتيجة كلكم عابد ومعبود من دون الله، حصب جهنم.

وحصب جهنم: فيه ثلاثة أقوال: الأول: وقود جهنم، والثاني: معناه حطب جهنم، والثالث: أنهم يُرمَون فيها كما يُرْمَى بالحصباء في النار فتتأجج، فهم يرمون فيها رميا حتى تزداد جهنم تغيضا وتسعرا[85].

أما من عُبِد من دون الله وهو براء من هذا الجرم العظيم، وغير راض عن ما يفعله المجرمون، فهو في أمان الله وكنفه، مثل: سيدنا عيسى عليه السلام: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ..."، "مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ..."، "قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رضي الله عنهمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[86]، وقد استثناهم الله عز وجل في قوله: "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى

(82) الأنبياء، 98/17 - 99.
(83) القصص، 38/20.
(84) النازعات، 24/30.
(85) ينظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، *النكت والعيون* (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3/ 2012م)، 472/3.
(86) المائدة، 116/7 - 117 - 119.

أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ"[87]، وهذا ما بيّناه في الفصل التمهيدي في سبب نزول هذه الآية.

لو كان هؤلاء آلهة لدفعت عن عابديها وعن نفسها العذاب ولنصرتهم: "لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ"[88]، لذلك العابد والمعبود، الكل داخل فيها، وهم فيها خالدون.

ـ المعلم الدعوي: توجد في هذه الآية إشارتان:

الأولى: تقرير التوحيد، وذلك من خلال بيان مصير الشرك والمشركين، وأن الأمر ماض والوحدانية لله من قبل ومن بعد، سواء أطعتم أم عصيتم، فلن يضر اللهَ ذلك شيئا، وإنما النفع لكم، والضرر عليكم.

الثانية: بعد أن أقر الله التوحيد أشار إلى الحشر والبعث والنشور في قوله: ـ حصب جهنم أنتم لها واردون وكل فيها خالدون[89].

"قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"[90].

ـ المعنى العام: "إنما" أداة حصر، والله تعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لقومه إن جميع ما يوحى إليه منحصر في كلمة ومنبثق منها، ألا وهي كلمة التوحيد "لا إله إلا الله".

فهل أنتم مسلمون: "الفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها"[91]، فلا إله إلا الله توجب الإسلام والاستسلام لله وحده، أما الاستفهام في "فهل" جاء بمعنى الأمر أي أسلموا، مثل قوله تعالى: "فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ"[92]، أي انتهوا[93].

---

(87) الأنبياء، 101/17.

(88) يس، 75/23.

(89) ينظر: الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ابن علي التيمي البكري الرازي الشافعي، *مفاتيح الغيب* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 113/13.

(90) الأنبياء، 108/17.

(91) القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 535/5.

(92) المائدة، 91/7.

(93) ينظر: عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات النسفي، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل* (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2/ 2014م)، 103/2.

ـ المعلم الدعوي: وضحت الآية الكريمة معلما مهما من معالم الدعوة بل هو أصل الدعوة ألا وهو التوحيد، وذلك من خلال حصر مهمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة وما يتنزل به الوحي، بمسألة توحيد الله تعالى.

1.1.2. الهداية والإصلاح

إن الهداية والإصلاح غاية الدعوة إلى الله عز وجل، فالله تعالى لم يخلق الخلق ليشقوا وإنما خلقهم ليسعدوا، خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم، وهذا ما نلمسه من خلال النصوص وهي كثيرة، منها قوله تبارك وتعالى: "إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ"[94]، وكذلك ليلةٌ القدر جعلها الله خيرا من ألف شهر: "لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ"[95]، وما جاء في السنة عن ابن عباس رضي الله عنـهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة"[96].

فالهداية والإصلاح مقتضى رحمته تبارك وتعالى بخلقه أجمعين؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، من الكفر إلى الإيمان، من ذل المعصية إلى عز الطاعة، من النار إلى الجنة، وليأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم: "الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ"[97].

والذي يدلنا على عظم هذا المقصد حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفرحه بإسلام ذلك الغلام اليهودي قبل موته، "عن أنس رضي الله عنـه قال: كان غلام

(94) الحديد، 18/27.
(95) القدر، 3/30.
(96) البخاري، "باب من هم بحسنة أو بسيئة" 2380/5.
(97) إبراهيم، 1/13.

يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار"[98].

وسنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على الهداية والإصلاح في سورة الأنبياء، والتي وردت في خمس آيات:

"وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ"[99].

ـ المعنى العام: هذه الآية "نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله"[100].

سبحانه: تنزيه لذاته جل وعلا عما قالوا، وهنا لما حل الكذب والباطل في قولهم، جاء الصدق والحق في قوله، مخبرا حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ"[101].

بل عباد مكرمون: لما لم يستكبروا ولم يستحسروا ولم يفتُروا عن عبادته جل وعلا، كما وصفهم تبارك تعالى في الآيتين (19) ـ (20) السابقتين لهذه الآية، نالوا هذا الإكرام منه سبحانه.

بل عباد مكرمون: لأنهم لا يصيبهم الفتور عن التسبيح ليل نهار ومع ذلك "وهم من خشيته مشفقون"، بينما حال من نسبهم أولادا له سبحانه: "اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون".

ـ المعلم الدعوي: نلحظ في هذه الآية حِلمَ الله عز وجل ومراده لتحقيق مقصد الهداية في خلقه، حينما يوضح للمفترين تنزهه عن اتخاذ الشريك والولد وأن الملائكة عباد من عباده المكرمين، مع العلم أنه في غنى عن الخلق أجمعين فضلا عن المشركين منهم، من أن يوضح لهم ذلك، وهذا من كمال رحمته بعباده تبارك وتعالى.

---

(98) البخاري، "باب من انتظر حتى تدفن" 94/2.

(99) الأنبياء، 26/17.

(100) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، *معالم التنزيل*، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4/ 1417هـ - 1997م)، 315/5.

(101) الإخلاص، 1/30 - 3.

"أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ"[102].

ـ المعنى العام: أولم ير: المراد بالرؤية هنا: العلم، كقوله تعالى: "وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا"[103] أي علمنا مناسكنا[104].

الرّتْقُ: "إلحام الفَتق وإصلاحه، يقال رَتَقْتُ فَتْقَه حتى ارتَتَق، وجارية رتقاء بينة الرّتقِ، أي لا خَرْقَ لها"[105].

أولم يعلم الذين كفروا بهذه العظمة الربانية أن السموات والأرض كانتا كتلة واحدة لا خرق ولا انفتاح فيها، ففتقناهما.

والفتق هنا فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن الكون بسمائه وأرضة كان ملتصقا ففتق الله بين السماء والأرض بالهواء.

الثاني: أن السموات كانت ملتصقة ففتقها الله تعالى فجعلها سبع سموات، والأرض كذلك جعلها سبع أرضين.

الثالث: كانت السموات مرتقة لا تمطر، وكانت الأرض كذلك لا تنبت، ففتق رتق السماء فأمطرت، والأرض فأنبتت[106].

وجعلنا من الماء كل شيء حي: خلق الله تعالى الخلق من ماء، وحفظ حياتهم بالماء: "وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[107]، "وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ"[108]،

---

(102) الأنبياء، 30/17 - 31.
(103) البقرة، 128/1.
(104) ينظر: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، *بحر العلوم*، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) 158/1.
(105) الفراهيدي، *العين*، 96/2.
(106) ينظر: الماوردي، *النكت والعيون*، 444/3.
(107) النور، 45/18.
(108) الأنعام، 99/7.

"وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ"[109]، فالأرض، وما دب عليها، وما نبت منها، أصل خلقتها الماء، وجعل الله تعالى ديمومة وحفظ حياة الخلائق بالماء.

وجعلنا في الأرض رواسي: أي جعل فيها جبالا ثابتة شامخة: "وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ"[110]، والحكمة من خلق هذه الجبال الرواسي، أن تميد بهم: أي أن تختل بهم الأرض وتضطرب، فالجبال للأرض كالنجوم للسماء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"[111]، وما دل على أن الجبال سبب في توازن الأرض، هو يوم القيامة، يوم تبدل الأرض غير الأرض، فيسبق ذلك التبديل دكّ الجبال فتكون كالعهن المنفوش، قال الله تعالى: "وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ"[112].

وجعل فيها فجاجا سبلا: أي جعل الله تعالى في الأرض طرقا سالكة ممهدة للسير فيها.

لعلهم يهتدون: لعل هذه الآيات الكونية تقودهم للهداية بأن المدبر هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

ـ المعلم الدعوي: بسط الله تعالى في هاتين الآيتين البراهين والآيات التي أنعم بها على الوجود، كل ذلك ليأتي بالتعليل والغاية في نهاية الآية الثانية، وذلك بقوله "لعلهم يهتدون" أي ليهتدوا، ولعل تفيد الترجي، أي رجاء أن يهتدوا، تحقيقا لمقصد الهداية والإصلاح الذي قامت عليه الدعوة.

---

(109) النحل، 65/14.
(110) المرسلات، 27/29.
(111) مسلم، *صحيح مسلم*، "باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمان لأصحابه" 183/7.
(112) القارعة، 5/30.

"وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ"[113].

ـ المعنى العام: أي وجعلنا الذين ورد ذكرهم قُبيل هذه الآية، وهم: سيدنا إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب، عليهم الصلاة السلام أئمة وقدوات يقتدى بهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما جعل الإمام ليؤتم به"[114]، أي ليقتدى به.

يهدون بأمرنا: أي يدعون الناس ويرشدوهم ويعلموهم بأمر وإذنٍ من الله عز وجل.

جاء هذا الجعل الرباني للمُصطَفِين من هذه الذرية، استجابة لطلب الخليل إبراهيم عليه السلام، يوم طلب الإمامة لذريته: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"[115]، فاستجاب له ربه: "وجعلناهم أئمة"[116].

ونلحظ أن الاستجابة قيدت بقيد، وهو خروج الظالمين من هذا الاصطفاء؛ لأن شرف الدعوة عظيم، لا يناله إلا من صفا لله تعالى قلبا وقالبا؛ كي يقدر على حمل النور والهداية للخلق.

وأوحينا إليهم فعل الخيرات: أي أن يقوموا بفعل الأعمال الصالحة من العبادات والمبرات، ثم أكد سبحانه وتعالى على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ حيث ذكرت الصلاة والزكاة في هذه الآية مرتين، مرة في عموم الخيرات، وأخرى بالخصوص؛ وذلك لبيان عظم الصلاة والزكاة وفضلها على باقي الأعمال.

وكانوا لنا عابدين: أي خاضعين طائعين ممتثلين أمرنا.

ـ المعلم الدعوي: الأصل من بعث الأنبياء والرسل هو تحقيق الهداية والإصلاح، ولهذا لما جعل الله سيدنا إبراهيم إماما وجعل من ذريته أئمة قال: يهدون بأمرنا، أي جعلهم أئمة؛ ليهدوا الناس ويأخذوا بأيديهم إلى بر الأمان.

---

(113) الأنبياء، 73/17.
(114) البخاري، "باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمان لأصحابه" 139/1.
(115) البقرة، 124/1.
(116) ينظر: العلامة محمد أمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، (دار عالم الفوائد، مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، د.ت)، 741/4.

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[117].

ـ المعنى العام: جاءت الـ "ما" نافية، و"إلا" أداة حصر، فدل اجتماع النفي والحصر هنا على أن ذات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وما حمله من معاني وتشريع هو رحمة، وكلمة "رحمة" وردت بصيغة النكرة بدل التعريف؛ لتكون أوسع وأشمل، فتشمل كل معاني الرحمة، إذ ليس في الوجود رحمة إلا بابها رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما تبينه كلمة العالمين "للعالمين" فما تتمتع به العوالم كلها من قبل ومن بعد، في الدنيا والآخرة من رحمات جعل الله تعالى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سببها، فهو في الآخرة باب الرحمة للعالمين، مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم، بشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم يخفف الله عن الخلائق أجمع ويعجل الحساب: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: "إن الشمس تدنو يوم القيامة، حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا، يحمده أهل الجمع كلهم"[118].

وهو في الدنيا مصدر الرحمة للعالمين، إنسهم وجنهم، حيوانهم ونباتهم وجمادهم، فكلمة "للعالمين" عمت من عاصر نزول الوحي، ومن سيأتي بعد ذلك إلى يوم القيامة، وكذلك من سبق مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأولين، حيث سيشهد وأمته للأنبياء بالتبليغ، والصالحين من أقوامهم بالطاعة: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"[119].

ورحمته صلى الله عليه وآله وسلم بالجن أنه نقل إليهم نور الهداية والتوحيد: "قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا"[120]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه:"لا

(117) الأنبياء، 107/17.
(118) البخاري، "باب من انتظر حتى تدفن" 124/2.
(119) البقرة، 143/2.
(120) الجن، 1/29 - 2.

تستنجوا بالروث ولا بالعظام، فإنه زاد إخوانكم من الجن"[121]، رحمة بهم أن يُؤْذَوا، فالعظام طعامهم، والروث علف دوابهم.

أما رحمته صلى الله عليه وآله وسلم بالحيوان فالمواقف كثيرة منها: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة (طائر) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش (أي ترفرف) فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار"[122].

ورحمته صلى الله عليه وآله وسلم بالنبات، "عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، حتى جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضع يده عليها فسكنت"[123].

وحتى الجمادات كان لها نصيب من رحمته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن"[124]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلع له أحد فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت ما بين لابتيها"[125].

ـ المعلم الدعوي: إن المتأمل في الآية الكريمة الدالة على عالمية الدعوة، يتساءل كيف لقضية العالمية أن تتحقق في أمة كانت تعيش داخل دائرة صغيرة في الجزيرة العربية، جبالها جرداء، صحراءها قاحلة، وإذا بهذه الأمة التي كانت تخاف ممن

---

(121) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، *سنن الترمذي* (بيروت: دار الفكر، د.ت)، "باب ما جاء في كراهية ما يستنجى به" 15/1، قال: حديث صحيح.

(122) سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، *سنن أبي داود* (بيروت: دار الفكر، د.ت)، "باب النهي عن حرق العدو بالنار" 61/2، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(123) البخاري، "باب علامات النبوة في الإسلام" 1314/3.

(124) مسلم، *صحيح مسلم*، "باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم" 1782/4.

(125) البخاري، "باب أحد يحبنا ونحبه" 103/5.

حولها، تنطلق لتحمل للإنسانية أسمى حضارة وأشرف رسالة، وإذا بها عالمية في الأكوان، لم يتأت ذلك إلا من إرادة ربانية؛ لتحقيق مقصد الهداية والإصلاح، ولينفذ من شاء من عباده أن يهتدي ويستقيم: "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ"[126]، لذلك حصر الله المقصد والغاية من إرسال رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم، بالرحمة، ولهذا كان على من حمل شرف الدعوة على عاتقه، أن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون رحمة للعالمين.

1.1.3. إقامة الحجة

قضى الله عز وجل ببالغ حكمته وعظيم عدله، أن لا يعذب أحدا حتى يقيم عليه الحجة، ببعث الأنبياء والرسل، وبلوغه ما بشر وأنذر به المرسلون، فقال الله تعالى: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا"[127].

وقال تعالى: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا"[128].

وقال تعالى: "وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى"[129].

وقال تعالى: "وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ"[130].

والنصوص كثيرة في هذا الشأن جاءت دلالة على عدل القدرة الإلهية وأن السنة التي أجراها الله تعالى تأبى أن يؤخذ أحد إلا بوجود كفر ومعصية، والكفر لا يكون كفرا، والمعصية لا تكون معصية، إلا إذا بُلّغ العبد فكفر، وأُمر أو نُهي فعصى،

(126) التكوير، 27/30 - 28.
(127) النساء، 165/6.
(128) الإسراء، 15/15.
(129) طه، 134/16.
(130) الزمر، 71/24.

وحينما نقول بُلّغ وأُمر ونُهي، معنى ذلك أنه سيقت له الأدلة والبراهين والعبر بكل الأساليب الدعوية والرسائل الربانية التي ألهمها الرسل والدعاة من عباده، مختتمة بالنذارة والتحذير والوعد والوعيد، آنذاك يأتي العدل الإلهي بالعذاب، وهذا من كمال عدله سبحانه، فلو أنه تركهم دون عذاب، لاستوى المؤمن والكافر، والظالم والمظلوم، والقاتل والمقتول، ولاختلّ ميزان العدل لديه حشاه وسبحانه عن كل نقيصة؛ ولذلك أقام الحجة.

وسنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على إقامة الحجة في سورة الأنبياء، والتي جاءت في سبع آيات:

"قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[131].

ـ المعنى العام: يخبرنا رب العزة تبارك وتعالى في هذه الآية بجواب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين على ما يسرون ويدبرون، أن الله عز وجل يعلم الأحوال ويسمع الأقوال، فلا تخفى عليه خافية، فالذي نزّل الذكر وما فيه من أخبار وأسرار، يعلم السر في السموات والأرض، قال تعالى: "قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"[132].

ـ المعلم الدعوي: امتثال الداعية الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أمر الله عز وجل، وذلك بإقامة الحجة على المشركين، من خلال إعلامهم أن الوحي الذي يكذبوه والمكر الذي يبيتوه سرا وعلانية، يعلمه الله تعالى ولا يخفى عليه، ولن ينفعكم تدبيركم شيء.

ـ إشارة: لا بد للدعاة أن يحصنوا أنفسهم بمراقبة الله عز وجل، فكل كلمة تكتب أو تقال في ميدان الدعوة يجب أن يُراقب اللهَ تعالى فيها؛ حتى تؤتي أكلها في الدنيا والآخرة، فهو السميع العليم يعلم القول في السماء والأرض.

"وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"[133].

(131) الأنبياء، 4/17.
(132) الفرقان: 6/18.
(133) الأنبياء: 7/17.

ـ المعنى العام: جاءت الآية الكريمة ردا من الله تعالى على تعلل الجاحدين في الآية التي سبقتها، كيف لبشر أن يكون نبيا: "هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ"، فردّ الله عز وجل أنه ما من رسول إلا كان رجلا يوحى إليه، فهم تعللوا بـ "إلا بشر" ورد الله بـ "إلا رجالا" وهذا رد تأكيد وتخصيص لبيان الجنس.

ثم يوجه الله تعالى الأنظار إلى سؤال أهل الكتاب؛ لأنهم على علم بهذه الحقيقة، ولهم تجارب سابقة مع العديد من الأنبياء عليهم السلام.

إن كنتم لا تعلمون: هنا جاءت إن الشرطية إشارة إلى أنهم كانوا يعلمون، ولكنهم يتظاهرون بعدم المعرفة؛ لينكروا وليثيروا الشك في قلوب الجهلة من عوامهم[134].

ـ المعلم الدعوي: أكد الله عز وجل على صدق رسالة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية ردا على تشكيك ونكران المشركين في قولهم: "هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ"، وجاء التأكيد مرتين:

الأولى: ببيان جنس الأنبياء جميعا، أنه ما من رسول إلا كان رجلا يوحى إليه.

والثانية: بسؤال أهل الذكر من أهل الكتاب.

وكل هذا التأكيد؛ إقامةً للحجة، وحتى لا يُبقي الله تعالى أيّة ذريعة للمشركين، أنهم لم يأتهم رسول، أو أنهم لم يعلموا أنه رسول الله إليهم.

"وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ"[135].

ـ المعنى العام: المقصود في هذه الآية هم الملائكة الكرام عليهم السلام "ومن يقل منهم إني إله من دونه" وهذا على سبيل الافتراض، أي فرضا أن أحدهم قال وأدعى الألوهية من دون الله، فسيكون جزاؤه نار جهنم؛ لأن حقوق الله تعالى لا يمكن لأحد أيا كان أن يتجاوزها أو يدعيها، سواء كان من الملائكة المقربين أو من الأنبياء والمرسلين.

"كذلك نجزي الظالمين": أي هكذا يكون جزاء الظالمين، إذ أن أعظم الظلم هو الإشراك بالله: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"[136].

---

(134) ينظر: الميداني، *معارج التفكر ودقائق التدبر*، 270/14.
(135) الأنبياء، 29/17.

ـ المعلم الدعوي: نستلهم من هذه الآية الكريمة إقامة الحجة على من جاوز الحد وتعدى على حقوق الألوهية، وذلك من خلال افتراض أن أحدا من الملائكة فعل مثل هذه الجريمة الشنعاء، على ما له من مكانة وقرب، وطاعة لله من غير عصيان، فإن مصيره النار، وهذا إنذار وبيان للعقوبة المترتبة على هذا الفعل، حتى لا يأتي أحد ويقول لم أكن أعلم العاقبة.

"وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"[137].

ـ المعنى العام: ذكر الله عز وجل لحبيبه صلى الله عليه وآله وسلم ما حصل للرسل عليهم السلام من قبل، من تكذيب واستهزاء؛ لأن الإنسان بطبعه يزداد مواساة وصبرا حينما يرى أو يعلم أن هناك من لقي وعانا مثل الذي يمر به، وهذا المعنى ذكرته الخنساء في رثاء أخيها صخر، حيث دل على الانتفاع بالتأسي في المصيبة، قولها:

ولـــــولا كثرةُ الباكـــيـن حـــولـِـــي ... علـى إخوانهـم لقتلتُ نفســـــــــي

وما يبكـــون مثلَ أخـــي ولكـــن ... أُعَزِّى النفـــسَ عنـــه بالتأسِّـــي[138]

فحاق: الحيق: هو الإحاطة، والمتتبع لهذه الكلمة في القرآن حيث وردت: "فحاق، وحاق، يحيق" يجد أنها استعملت بإحاطة الشر فقط[139].

بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون: أي أحاط ودار الشر والعذاب بالذين كفروا وهزئوا بهم جزاء استهزائهم.

ـ المعلم الدعوي: يتضح لنا أن إقامة الحجة على الناس أمر دائم ومحور أصلي في العمل الدعوي، فالأنبياء والرسل عليهم السلام كانت مهمتهم هي إيصال العقيدة والأحكام إلى الناس، وبهذا يؤدي الداعية ما عليه ويكون حجة ربه على العباد، ولا يصده عن دعوته شيء سواء استجاب الناس أو لم يستجيبوا، اهتدوا أو لم يهتدوا،

---

(136) لقمان: 13/21.
(137) الأنبياء، 41/17.
(138) أبو الفتح عثمان بن جني، *الخصائص* (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، 175/2.
(139) ينظر: ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 146/14.

وسواء أكرموه واحترموه، أو آذوه وأهانوه واستهزؤوا به، فهو لا يسعى لإرضاء أحد من الناس، إنما المقصد والغاية هو رضوان الله قال الله تعالى: "وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[140].

أما المستهزئون فليسألوا الأقوام السابقة عن طعم الموت غرقا، وعن الثمانية الحسوم، وعن الرجفة، وعن الصيحة، وعن الحجارة، وعن القلب والخسف، وعن النمرود وفرعون وهامان وقارون، كيف أحاط بهم ودار شرهم عليهم.

"قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ"[141].

ـ المعنى العام: "قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم": حينما أحضروا سيدنا إبراهيم عليه السلام سألوه هل أنت من كسّر وحطّم آلهتنا، "قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون": أسند الفعل إليه تجوزا لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه، أو تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي، أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه، "فرجعوا إلى أنفسهم": أي وراجعوا عقولهم، فقال بعضهم لبعض "إنكم أنتم الظالمون": بهذا السؤال، أو بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع، لا من ظلمتموه بقولكم إنه لمن الظالمين[142].

ـ المعلم الدعوي: "قول سيدنا إبراهيم عليه السلام: "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ" دل على أنه خرج مخرج التعريض، وذلك أنهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم آلهة دون الله، وهم كما قال إبراهيم لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا؟ فقال إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا؛ ليقولوا إنهم لا ينطقون ولا يفعلون ولا ينفعون ولا يضرون، فيقول لهم: فلم تعبدون؟ فتقوم الحجة عليهم منهم، ولهذا يجوز عند الأئمة فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق

(140) القصص، 87/20.
(141) الأنبياء، 62/17 - 64.
(142) ينظر: القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* (طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى، د.ت)، 73/2.

من ذات نفسه، فإنه أقرب في الحجة وأقطع للشبهة، كما قال لقومه: هذا ربي، على معنى الحجة عليهم، حتى إذا أفل منهم تبين حدوثه، واستحالة كونه إلها"[143].

وعن أبي هريرة رضي الله عنـه قال: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: "إني سقيم" وقوله: "بل فعله كبيرهم هذا"..."[144].

فنلحظ من خلال النصوص الواردة أن الخليل إبراهيم عليه السلام سلك طريق الرخصة، واستخدم التعريض في إلقاء الدلائل وإقامة الحجج حرصا منه ـ عليه السلام ـ على إقامة الحجة.

1.2. ثمرات الدعوة

كل تكليف له عوائده، والعود يكون نفعه وثماره بحجم وقيمة العمل والتكليف الذي أنيط بالعبد، ولما كانت الدعوة إلى الله من أعظم التكاليف؛ لأن نفعها يتعدى إلى الآخرين، كانت الثمار عظيمة وكثيرة وذات قيمة عالية، ولو لم يكن للدعوة ثمار سوى الخيرية التي رفع الله تعالى بها منزلة القائمين على الإرشاد والدعوة في قوله: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

(143) أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، *أحكام القرآن* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 263/3.

(144) البخاري، "باب قول الله تعالى {واتخذ الله إبراهيم خليلا}" 1225/3.

بِاللَّهِ..."[145] لكفتهم، فالأمة ما نالت هذه الخيرية إلا بنبيها صلى الله عليه وآله وسلم وبأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر.

1.2.1. الوصول إلى مرضاة الله تعالى

إن أغلى ما يطمح له الدعاة هو نيل مرضاة الله تعالى، وإلا لما حملوا عبئ الدعوة رغبة وحبا، فكانت تلك من أعظم ثمرات الدعوة، والتي سنتناول معالمها في أربع آيات وردت في سورة الأنبياء:

"وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ"[146].

ـ المعنى العام: أي وجعلنا إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب، عليهم السلام أئمة ودعاة يحتذى ويهتدى بهم، يدعون الناس ويرشدوهم إلى الخير ويعلموهم شرعة الله عز وجل.

وأوحينا إليهم فعل الخيرات: فيقوموا بفعل الأعمال الصالحة من الطاعات والمبرات، وهنا جاء ذكر الصلاة والزكاة مرتين، الأولى في عموم الخيرات، والثانية بالخصوص؛ ليبين الله تعالى أهمية الصلاة والزكاة وفضلها على باقي الأعمال.

وكانوا لنا خاضعين طائعين ممتثلين أمرنا.

ـ المعلم الدعوي: شهادة الحق تبارك وتعالى في هذه الآية، في حق سيدنا إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب، ـ عليهم الصلاة السلام ـ بأنهم كانوا عابدين له جل وعلا، هذه الشهادة توضح لنا ثمرة رضوان الله تعالى عنهم بتعبدهم إياه، بامتثال أمر الدعوة إليه.

"وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ"[147].

(145) آل عمران، 110/4.
(146) الأنبياء، 73/17.
(147) الأنبياء، 75/17.

ـ المعنى العام: وأدخلنا لوطا في رحمتنا، أي في الجنة، للحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنـه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلـم قال: "تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم؟ فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكم ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ، فيضع قدمه عليها فتقول قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض"[148]، فدل قول الله تعالى للجنة: "أنت رحمتي" على أن الجنة من معاني الرحمة[149].

ـ المعلم الدعوي: تبين في المعنى العام للآية، أن المقصود بالرحمة التي أدخل الله تعالى فيها لوطا عليه السلام، هي الجنة، والجنة لا يدخلها أحد إلا من رضي الله عنـه، فهي دار الرضوان، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنـه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلـم: "إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا"[150].

وهذه الثمرة، ثمرة الوصول إلى رضوان الله تعالى تحققت لسيدنا لوط عليه السلام بدعوته إلى الله تعالى.

وكذلك سيدنا إسماعيل وإدريس وذي الكفل لما صبروا على دعوة أقوامهم نالوا هذه الثمرة، قال الله تعالى: "وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ"[151].

1.2.2. استجابة الله تعالى للمخلصين في الدعوة

(148) مسلم، صحيح *مسلم*، "باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء" 2186/4.
(149) ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، *الكشاف* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 124/3، ينظر: الشنقيطي، *أضواء البيان*، 169/4.
(150) البخاري، "باب صفة الجنة والنار" 2398/5.
(151) الأنبياء، 85/17 - 86.

سنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على ثمرة استجابة الله تعالى لعباده المخلصين له في الدعوة، وذلك في أربع آيات من سورة الأنبياء:

"وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ"[152].

ـ المعنى العام: وَنُوحاً: منصوب حكما بتقدير "اذكر"، أي واذكر نوحاً، "إذ نادى من قبل": أي دعانا من قبل إبراهيم ولوط، قال الله تعالى: "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً"[153]، "فنجيناه وأهله": هنا سمى الله جل وعلا الأتباع في الدين أهل، وقال في ابن نوح عليه السلام: "إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح"[154]، فكلمة الأهل لها معان مختلفة، تختلف حسب الاستعمال والسياق الذي ترد فيه، "من الكرب العظيم" والمقصود بالكرب العظيم الغرق بالطوفان الذي تعاظمت أمواجه كأنها الجبال العظام، كما قال تعالى: "وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ"[155]، "ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا" من بمعنى على، جيء بها، لتضمينها معنى المنع والحماية إضافة للمدافعة والمعونة، "إنهم كانوا قوم سوء" عرفوا به وكذبوه وكفروا بالله عز وجل "فأغرقناهم أجمعين" أي لم ينج أحد منهم من الغرق حتى أقرب المقربين منه وهو ابنه الذي من صلبه لما كفر أخذ بالغرق، وفي هذا إشارة وتهديد لقريش أن لا يتكلوا على القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[156].

ـ المعلم الدعوي: أخلص سيدنا نوح عليه السلام في دعوته إلى الله تعالى، فبقي يدعو قومه تسعمئة وخمسين سنة صابرا محتسبا متأملا هدايتهم، قال تعالى: "وَلَقَدْ

(152) الأنبياء، 76/17 - 77.
(153) نوح، 26/29 - 27.
(154) هود، 46/12.
(155) هود، 42/12.
(156) ينظر: الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، *أحكام القرآن* (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1415هـ - 1994م)، 286/2، ينظر: الشنقيطي، *أضواء البيان*، 169/4.

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ..."[157]، فلما علم أنهم لن يؤمنوا إلا من قد آمن معه: "وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"[158]، توجه إلى الله عز وجل مناديا مناجيا، فكانت الإجابة من الرحمن الرحيم أن نجاه وأهله من الكرب العظيم، ونصره على الظالمين فأغرقهم أجمعين، وهذا دليل حسي على استجابة الله تعالى لمن أخلص في دعوته إليه.

"وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ"[159].

ـ المعنى العام: "وأيوبَ" منصوب حكما بتقدير "اذكر"، أي واذكر أيوبَ، "إذ نادى ربه أني مسني الضر" والمس: الإصابة الخفيفة، وعبر بهذه اللفظة تأدبا في دعائه مع الله تعالى، فكل ما حل به من الضر عبر عنه بالمس الخفيف، وهذا هو كمال الأدب، قال العلماء: ولم يكن قوله "مَسَّنِيَ الضُّرُّ" جزعا؛ لأن الله تعالى قال: "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً"[160]، بل كان ذلك دعاء منه، والدعاء لا ينافي الرضا عن الله تعالى، فكان شكواه إلى الله عز وجل كي يعطيه المعونة على رضا قلبه بالوارد من البلاء، وذلك أن القلب إذا كان راضياً بأمر الله لم يضر العبد ما فعلت جوارحه، ولهذا نجد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين مات ابنه إبراهيم بكى عليه رحمة له بطبع البشرية، فلم يضره صلى الله عليه وآله وسلم ما فعلت جوارحه، لأن قلبه الشريف كان راضياً به[161].

"فاستجبنا له" السين والتاء للمبالغة في الإجابة، "فكشفنا ما به من ضرّ" إشارة إلى سرعة كشف الضرّ عنه، والكشف: مستعمل في الإزالة السريعة، حيث شبهت إزالة ما حل به من البلاء والأمراض والأضرار التي لا تزول إلا بزمن طويل،

---

(157) العنكبوت، 14/20.
(158) هود، 36/12.
(159) الأنبياء، 83/17 - 84.
(160) ص، 44/23.
(161) ينظر: الإمام أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، *تفسير التستري* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 104/1، ينظر: القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 325/11.

بإزالة الغطاء عن الشيء في السرعة، "ما به من ضر" المقصود من الموصول هنا الإبهام، "من ضر" هنا ـ من ـ بيانية جاءت لقصد تهويل ذلك الضرّ لكثرة أنواعه بحيث يطول عدّها، مثل قوله تعالى: "وما بكم من نعمة فمن الله"[162]، إشارة إلى تكثيرها، أي كشفنا ما نزل به من ضرّ في بدنه وأمواله فأعيدت صحته وثروته، عن أبي هريرة رضي الله عنـه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "بينا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك"[163]، والإيتاء: الإعطاء، أي أعطيناه أهله ومثل أهله بأن رُزق أولاداً بعدد ما فَقَد، وزاده مثلهم فيكون قد رزق أربعة عشر ابناً وست بنات من زوجه التي كانت بلغت سنّ العقم، "رحمة من عندنا" ووصفت الرحمة بأنها من عند الله، دلالة على القرب المراد به التفضيل، والمراد رحمة بأيوب إذ قال: "وأنت أرحم الراحمين"، "وذكرى للعابدين" والذكرى: التذكير بما هو مظنة أن ينسى أو يغفل عنه، أي وتنبيهاً للعابدين بأن الله لا يترك عنايته بهم[164].

ـ المعلم الدعوي: الدعاة الذين حملوا رسالة السماء؛ ليبلغوا نور الله تعالى لخلقه، وتجشموا تبعات هذه المنزلة الرفيعة، من ابتلاءات تتناسب مع مقاماتهم الرفيعة؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سئل من أشد الناس بلاء؟ قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"[165]، كان من ثمار دعوتهم وصبرهم وإخلاصهم أن جعل الله تعالى لهم حظوةً عنده بالاستجابة لهم عند السؤال والطلب.

فهذا أيضا سيدنا يونس عليه السلام لما التقمه الحوت في ظلمات البحر، التجأ إلى الله تعالى مناديا، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فجاءته الاستجابة والغارة الإلهية فنجّي من الغم قال تعالى: "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ

---

(162) النحل: 53/14.
(163) البخاري، "باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة "107/1.
(164) ينظر: ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 127/17.
(165) الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، "ذكر البيان بأن البلاء يكون بالأنبياء أكثر ثم الأمثل فالأمثل في الدين" 253/3.

نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ"[166].

وهذا سيدنا زكريا عليه السلام لما نادى ربه جاءه الرد فاستجبنا إكراما لحامل دعوتنا، قال الله تعالى: "وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ"[167].

وهكذا كل من سار في هذا الطريق العظيم له مكانة عند خالقه تبارك وتعالى، وعلى حسب الإيمان والإخلاص تكون الإجابة والمعية الإلهية.

1.2.3. المِنح والعناية الإلهية بالدعاة

إن المتتبع لسير الأنبياء ودعوتهم يجد رغم ما أصابهم من ابتلاءات وعقبات ومخاطر أن الله حاضر معهم في كل مكان بحفظه وعنايته ومنحه، لذا سنوضح في هذا المطلب المعالم الدالة على ثمرة العناية الإلهية بحاملي دعوته لخلقه، وذلك في ثلاث آيات وردت في سورة الأنبياء:

"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ"[168].

ـ المعنى العام: الفرقان: فيه ثلاثة أوجه كما ذكره الماوردي: الأول: هو التوراة التي فرق الله بها بين الحق والباطل، الثاني: هو البرهان الذي فرق بين حق موسى وباطل فرعون، الثالث: هو النصر والنجاة فنصر موسى وأشياعه وأهلك فرعون وأتباعه[169].

والحقيقة أن الوجه الأول بعيد؛ لأن الله تعالى قال: "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"[170]، ومن هذه الآية يتضح أن الكتاب هو التوراة، والفرقان غير الكتاب؛ لأن المعطوف عليه خلاف المعطوف.

---

(166) الأنبياء، 87/17 - 88.
(167) الأنبياء، 89/17 - 90.
(168) الأنبياء، 48/17.
(169) ينظر: الماوردي، *النكت والعيون*، 450/3.
(170) البقرة، 53/1.

فالفرقان كما ذكر في الوجه الثاني هو البرهان (العصا، وانفراق البحر) الذي فرق بين حق موسى وباطل فرعون.

وضياء: كناية عن الكتاب الذي أنزله الله تعالى على سيدنا موسى عليه السلام، أي نور يستضاء ويستهدى به إلى الحق في العقيدة والشريعة.

وذكراً: أي موعظة وتذكيرا ينتفع به المتقون.

ـ المعلم الدعوي: يخبرنا الله تعالى أنه أعطى موسى وهارون البرهان الذي فرق بين حق موسى وهارون وبين باطل فرعون، وآتاهما التوراة ضياء يستنار به في معرفة شرعة الله تعالى وأحكامه، وذكراً يعض ويذكر المتقين.

كل هذا العطاء يقودنا إلى ثمرة عظيمة ومهمة، وهي أن الله عز وجل ما اتخذ نبيا أو داعيا مخلصا إليه إلا منحه وأيده بالحجة والبراهين وجعله محط عنايته، قال تعالى: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ"[171].

"وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ"[172].

ـ المعنى العام: ولقد آتينا إبراهيم العلم والهدى مذ كان صغيراً، وقبل أن يرسل نبياً، وكنا به عالمين أنه أهل لإيتاء الرشد[173].

ـ المعلم الدعوي: الرشد نعمة وصفة لا تمنح لأحد إلا لمن كان أهلا لها، والأهلية هي أن يجد الله عز وجل في قلب عبده إرادة الحق، والرغبة في السعي إلى نقل الخير والهداية للآخرين؛ ولهذا نجد أن الكليم موسى عليه السلام سعى إلى التزود من هذه النعمة، على الرغم من أنه قد آوتيها، فراح يتتبع الخضر عليه السلام حتى إذا وجده قال له: "قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا"[174].

وسيدنا إبراهيم عليه السلام كما أخبر الحق جل وعلا آتاه الرشد من قبل أن يكون رسولا نبيا؛ لأن الله تعالى يعلم أنه أهل للرشد، فأثمر هذا الرشد حلما وخشوعا

---

(171) البقرة، 253/3.
(172) الأنبياء، 51/17.
(173) ينظر: الماوردي، *النكت والعيون*، 450/3.
(174) الكهف، 66/15.

وإنابة، قال تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ"[175]، وهذا يدخل في باب العناية الإلهية وثمار سلوك طريق الدعوة إليه سبحانه.

"وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ"[176].

ـ المعنى العام: أي وأعطينا لوطا النبوة والعلم، وبعثناه إلى قرية سدوم التي كان أهلها يعملون الأعمال الخبيثة، كاللواطة وقطع السبيل وغير ذلك، فكذبوه وآذوه، فخلصناه من أهل هذه القرية إنهم كانوا أشرارا خارجين عن طاعة الله[177].

ـ المعلم الدعوي: شدة الظلام تحتاج مقابلة عكسية أكثر شدة لتزول وتُمحى، فكان لا بد من وهج نور العلم المؤيد بحكم النبوة؛ لتُنسخ تلك الأفعال القبيحة، والتي تمكنت من الفطرة السليمة بدافع الجهل وتمادي النفس الفاجرة، وهذا ما منحه الله تعالى لسيدنا لوط عليه السلام وأيده به.

وهاتان المزيتان، الحكم والعلم، من المزايا المشتركة بين الأنبياء عليهم السلام عدا ما خص الله تعالى به كل نبي من المنح الأخرى، لذا نجد سيدنا داود وسليمان عليهما السلام أيضا آتاهما الله حكما وعلما، فقال تعالى: "وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا"[178]، وفي هذا إشارة لكل من أراد أن يسلك سبيل الدعوة المبارك، أن يستمنح الله تعالى الوراثة النبوية بالعلم الذي ورّثوه، ليقوى على التبليغ والإرشاد ومحاججة المعاندين المحاربين لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(175) هود، 75/12.
(176) الأنبياء، 74/17.
(177) ينظر: ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 354/5. ينظر: الشيخ محمد علي الصابوني، *صفوة التفاسير* (إسطنبول: دار السراج، ط1/ 1440هـ - 2019م)، 381/2.
(178) الأنبياء، 79/17.

2. الفصل الثاني: معالم الدعوة فيما يخص الداعي

أول من كلف بالدعوة وحملها على عاتقه هم أنبياء الله ورسله عليهم السلام، فلا يوجد نبي أو مرسل إلا ودعا قومه إلى توحيد الله تعالى والإيمان به والتبرؤ من عبادة من سواه، قال الله تعالى: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ"[179]، فالرسل والأنبياء هم الدعاة إلى الله عز وجل.

ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء والدعاة من قبل ومن بعد، وهو الداعي الأكبر، الذي حمل الرسالة العالمية الكبرى والخاتمة، قال الله تعالى: "يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا"[180]، ووهب نفسه صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الدعوة؛ ليبلغ الرسالة ويؤدي الأمانة، حتى أتاه اليقين، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيا ورسولا عن أمته.

ومن إكرام الله تعالى لأمة حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم أن ميزها على سائر الأمم وشرفها بإشراكها في وظيفة رسوله الكريم؛ ليكونوا دعاة إليه تبارك وتعالى، فكانت خير أمة، قال تعالى: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(179) النحل، 36/14.
(180) الأحزاب، 45/22 - 46.

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"[181]، ولم تنل الأمة هذه الخيرية إلا بقيامها بوظيفة الأنبياء والرسل، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهذه الأمة كل فرد فيها مكلف بأمر الدعوة، كل مسلم، بالغ، عاقل، ذكر أو أنثى، وهناك نصوص أخرى من الكتاب والسنة دلت على ذلك، منها قوله تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[182]، وأتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هم المسلمون الموحدون الذين آمنوا بالله ورسوله، ومن النصوص الدالة على أن المسلمين جميعا مكلفون بأمر الدعوة إلى الله تعالى، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "...من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[183]، وبوب الإمام البخاري رحمه الله بابا أسماه: "باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب" قاله ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[184]، فكل مسلم علم شيئا من أمر دينه، كان عليه أن يبلغ ويدعوا بما علم.

إذن الدعوة إلى الله تعالى واجب على كل مسلم ومسلمة، وهذا الوجوب يحتم على الداعي معرفة أساليب الدعوة، ومنهج حياة الرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى.

---

(181) آل عمران، 110/4.
(182) يوسف، 108/13.
(183) مسلم، *صحيح مسلم*، "باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأنهما واجبان" 69/1.
(184) البخاري، 32/1.

2.1. أساليب الدعوة

الأُسلوب لغويا: الطريق، والفن، يقال: فلان على أسلوب من أساليب القوم، أي على طريق من طرقهم، ويقال: أخذ فلان أسلوبا من أساليب الحوار، أي فنا من فنونه[185].

الأسلوب اصطلاحا: إن المتتبع لتعريف الأسلوب عند أهل الفنون، من دعاة، ونقاد، ودارسي الأدب، وفلاسفة، يجد الكثير من التعاريف المتقاربة والمتباينة، والتي إذا وقفنا على أحدها نجد أنه يغطي جانبا وزاوية من زوايا هذه الكلمة، ويترك جوانب أخرى تحتاج إلى ضمها في تعريف دقيق شامل.

لذلك فإن الأسلوب: هو مجموعة من الصيغ اللغوية، والأفعال السلوكية التي تعمل عملها في إثراء المعنى، وتكثيف الخطاب، وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلم، وبيان لتأثيره في السامع[186].

ومن خلال ما تقدم في التعريف نجد أن للأسلوب دورا مهما في مجال الدعوة، إذ يستطيع الداعي من خلاله عرض ما يحمل من قضايا ومعاني بشكل يناسب فكر المخاطبين وحالهم، وكذلك يمكنه من النجاح في دعوته، ويمنحه القدرة على التأثير في كل الأوساط المجتمعية وعلى كافة الصعد الثقافية والعلمية، ويعد عاملا مهما في توفير الوقت والجهد على الداعية.

---

(185) ينظر: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، 284/1.

(186) ينظر: لطفي عبد البديع، *التركيب اللغوي للأدب* (الرياض: دار المريخ للنشر، ط/1409هـ - 1989م)، 75.

هذا وقد تناولنا أساليب الدعوة في سورة الأنبياء من خلال تقسيمها إلى: عقلية، وعاطفية، وحسية؛ وذلك لتكون شاملة لكل ما جاء في السورة من أساليب، فكل واحد من هذه التقسيمات الثلاثة ضمّ مجموعة مختلفة من الأساليب التي لو لم تدرج تحت هذا التقسيم؛ لطال تصنيفها، ولأخل في شجرة خطة البحث.

2.1.1. الأساليب العقلية

إن الأساليب العقلية من أهم الأساليب التي يتبعها الدعاة في محاججة المنكرين والمكذبين لكتاب الله تعالى وأنبيائه، فهي حجة دامغة لا يمكن التنصل منها، لذا سنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على الأساليب العقلية المتبعة في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك في عشر آيات من سورة الأنبياء:

"اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ" [187].

ـ المعنى العام: قال الله تعالى "اقترب" بصيغة الماضي ولم يقل يقترب بصيغة المضارع؛ لأن الفعل الماضي في هذا السياق يدل على حتمية التحقق والوقوع، أما المضارع فيدل على التجدد والحدوث، وهذا يدل على اقتراب الحساب كقرب الإنسان من حبل وريده، وكثيرا ما نجد هذه الصياغة والأسلوب في القرآن الكريم، ففي آية أخرى لم يقل يأتي وإنما قال: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ"[188]، فكل الخلق خاضع لقَدَرِه المحتوم تحت أمر الله الآتي، مصداقا لقوله تعالى: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" ثم "وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ"[189]، فالإنسان لا شيء، وهذا اللا شيء من طبعه يستعظم الأمور ويستكبرها؛ لصغره فيرى هذا الأمر بعيدا، لكن الله تعالى يراه قريبا؛ لعظمته، فهو في الحقيقة كلمح بالبصر "إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا"[190].

---

(187) الأنبياء، 1/17.
(188) النحل، 1/14.
(189) القمر، 49/27 - 50.
(190) المعارج، 6/29 - 7.

المناسبة بين هذه الآيات: إذا اقترب الحساب، أتى الأمر، وإذا أتى الأمرُ ساق العبدَ إلى قدره، الذي هو كلمح البصر، لكن البشر لا يدرك هذا القرب لضعف إدراكه، فتراه في غفلة، وهذه الغفلة درجات متفاوتة بين البشر، فغفلة الصالحين تكون في حدود الطاعات والمباحات وسرعان ما يتذكرون قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ"[191]، أما غفلة الكفار والمشركين والمتكبرين فهي أعلى درجات الغفلة التي تودي بهم إلى الإعراض.

ـ المعلم الدعوي: خطاب الخاص بالعام أسلوب من الأساليب العقلية المثمرة.

ففي الآية وردت كلمة "الناس" وهي لفظ عام أريد به خاص وهم مشركو مكة، لكن هذا لا يمنع من دخول العام في خطاب الخاص؛ لأن الله عز وجل جعل هذا القرآن خطابا لكل إنسان.

والدليل على ذلك ساق الله تعالى لمشركي مكة في سياق هذه السورة أدلة علمية كونية معقدة لم يصل العلم في ذلك الوقت لاكتشاف هذه الحقائق، وهو يعلم تبارك وتعالى أنهم لن يصلوا لحقيقتها، لكن سيتوصل إليها من سيأتي بعدهم بمئات السنين ليشملهم خطابه ويعجزهم أيضا، قال تعالى: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا"[192].

قال العلامة فخر الدين الرازي: "قرأ ابن كثير (ألم ير) بغير الواو، والباقون بالواو، وإدخال الواو يدل على العطف لهذا القول على أمر تقدمه"[193].

إذن في القراءة الأولى الواو العاطفة عطفت الخطاب على مشركي مكة، أما في القراءة الثانية بحذف الواو صار القصد على الذين توصلوا بالعلم الحديث إلى إدراك هذه الحقيقة ولم يهتدوا إلى الإيمان، لأن الاستفهام هنا استفهام إنكاري.

لذا فالداعي إلى الله يحتاج كثيرا إلى هذا الأسلوب وهو مخاطبة الخاص بالعام؛ ليشمل النفع والتذكير أكبر عدد ممكن، وأحيانا مراعاة للمخاطب من أن يفتضح أمره فتكون بدل النصيحة فيضحة، ولهذا نجد الحبيب صلى الله عليه وآله سلم يستخدم هذا

(191) الأعراف، 201/9.
(192) الأنبياء، 30/17.
(193) الرازي، *مفاتيح الغيب*، 161/22.

الأسلوب في كثير من المواقف، وقد بوّب البخاري في صحيحه باباً أسماه "باب من لم يواجه الناس بالعتاب"، "قالت السيدة عائشة رضي الله عنـها: صنع النبي صلى الله عليه وآله وسلـم شيئا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلـم فخطب فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية"[194].

"أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ"[195].

ـ المعنى العام: هنا ابتدأت الآية بالاستفهام الإنكاري[196]، كيف رضي المشركون باتخاذ آلهة صنعوها هم من خراج الأرض، لا تملك من أمرها شيئا فكيف لها أن تنشر الموتى وتحييهم.

لو كان في السموات والأرض آلهة مع الله تعالى لاختلَّ النظام الكوني؛ لأن تعدد الآلهة يؤدي إلى المنازعة، لكن تنزّه الله تعالى عما يصف الكافرون بألسنتهم من نقائص.

ـ المعلم الدعوي: الاستنتاج العقلي من الأساليب العقلية التي تستخدم في مخاطبة العقول؛ للإثبات والاستدلال على أمر ما، يريده المتكلم، والله تبارك وتعالى في هذه الآية يخاطب العقول ويريد لها أن تستنتج ماذا لو كان هناك مع الله آلهة؟

حتما ستكون النتيجة مخيفة، ولفسد النظام في العالم واختل؛ لأن الإرادة ستتعارض وسينتهي الأمر بالمنازعة المترتب عليها فساد السموات والأرض.

"أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ"[197].

ـ المعنى العام: هل لهؤلاء الكافرين بربهم آلهة تمنعهم من العذاب إن حل بهم عذاب الله، ثم وصف جلّ ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة في قوله: "لا يستطيعون

(194) البخاري، "باب من لم يواجه الناس بالعتاب" 2263/5.
(195) الأنبياء، 21/17 - 22.
(196) ينظر: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم* (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 195/3.
(197) الأنبياء، 43/17.

نصر أنفسهم" فبين أنّ ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها، ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد، كيف يمنع غيره وينصره؟[198].

ـ المعلم الدعوي: يتضح الأسلوب العقلي في مخاطبة الله تعالى لعقول الكافرين ومحاججتهم بالعقل، إذا كانت هذه الآلهة التي اتخذوها من دون الله لا تستطيع درء العذاب عن نفسها فكيف لها أن تدفع عن غيرها؟ وهذا الأسلوب له فوائده، منها وضع المنكرين في صغار وموقف حرج أمام جمهورهم إن أصروا على الكبر وتغييب العقل.

"قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[199].

ـ المعنى العام: قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال لهم: بل فعله كبيرهم هذا، إن كانوا ينطقون فاسألوهم. أي: إن كانت الآلهة المكسرة تنطق، فإن كبيرهم هو الذي كسرهم غضباً أن تعبد معه وهو كبيرهم، "فرجعوا إلى أَنفُسِهِمْ فقالوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظالمون" أي: ففكروا ورجعوا إلى عقولهم ونظر بعضهم إلى بضع فقالوا إنكم الظالمون في مسألتكم وقولكم: "من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم".

"ثُمَّ نُكِسُواْ على رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤلاء يَنطِقُونَ" أي: ثم غلبوا في الحجة واحتجوا على إبراهيم بما هو حجة له عليهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون.

"قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ" أي قال لقومه لما أقروا أن آلهتهم لا تنطق، أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، لأن من لا

---

(198) ينظر: الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 447/18. ينظر: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب* "حاشية الطيبي على الكشاف" (الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط/1 1434هـ - 2013م)، 353/10.

(199) الأنبياء، 62/17 - 67.

ينفع نفسه فيدفع عنها الضرر، فليس ينفع غيره، "أُفٍّ لَّكُمْ" أي: قبحاً لكم، وشراً لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون[200].

ـ المعلم الدعوي: استخدم سيدنا إبراهيم عليه السلام الأسلوب العقلي في مجادلة قومه، فلما استنطق فيهم العقل والمنطق في جوابه لهم: "بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون" كانت الإجابة نعت أنفسهم بالظلم، وغلبوا وقالوا: "لقد علمت ما هؤلاء ينطقون"، هنا حصلت ثمرة هذا الأسلوب وهي إدانتهم من فمهم، مفحما لهم فيما أجابوا، فقال لهم: أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، إذ أنه لا يقدر على الكلام أصلا، ولم يمكنه أن يدفع عن نفسه شيئا، أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون شيئا أبدا؟.

2.1.2. الأساليب العاطفية

الأساليب العاطفية في الدعوة لا تقل أهمية عن باقي الأساليب المهمة؛ كونها تلامس عواطف المدعوين وتستميلهم نحو موضوع الدعوة، سواء كانت ترغيبا أو ترهيبا، وسنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على الأساليب العاطفية المتبعة في الدعوة، وذلك في عشر آيات من سورة الأنبياء:

"اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ"[201].

ـ المعنى العام: "اقترب" قرب الحساب هنا في سياق النص دل على حتميته وتحققه لا محالة، لكن الناس في معزل عن استشعاره وتصوره؛ كونهم محجوبين بالغفلة والإعراض[202].

ـ المعلم الدعوي الأول: نجد أن الله تعالى أخبرنا بقرب الحساب وكتم عنّا العلم بموعده المحدد؛ رحمة بنا وعطفا علينا؛ لأن العبد إذا علم الموعد ربما تماهل وتباطأ حتى يبلغ قبيل الموعد ليعود، وهنا سيسقط في باب من أبواب الشيطان ألا وهو

(200) ينظر: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي، *الهداية إلى بلوغ النهاية* (الناشر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1/ 1429هـ - 2008م)، 4770/7. ينظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير* (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5/ 1424هـ - 2003م)، 422/3.

(201) الأنبياء، 1/17.

(202) المعارج، 6/29 - 7.

التسويف، وكذلك حتى نعيش سر الترقب فيكون العبد محصنا؛ لأنه في يقظة ووجل من أن تكون ربما هذه اللحظة أو التي بعدها وهكذا يعيش في مراقبة لذاته، وهذا أسلوب لا بد للإنسان الداعي إلى الله والمربي أن يتعلمه ويطبقه في مجال دعوته وتربيته للناس، لكن العلم لا يكتم إلا لأمرين:

1- جلب مصلحة: كإخفاء الله تعالى ليلةَ القدر في العشر الأخيرة من رمضان، وإخفاء رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ساعة الجمعة في قوله: "فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه"[203]، وذلك ليعيش العبد في ترقب فيزدد من الطاعة ويتحصن من المعصية.

2- دفع مفسدة: قال سيدنا علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون[204] أتحبون أن يكذب الله ورسوله"[205]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"[206]، وهذا هدي أخذوه عن الداعية الأكبر صلى الله عليه وآله وسلم، فعن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال: "يا معاذ بن جبل" قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: "يا معاذ" قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار" قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: "إذا يتكلوا" وأخبر بها معاذ عند موته تأثما.[207]، هنا خشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأمة من التقاعس والاتكال فأراد دفع هذه المفسدة بكتمان هذا الخير.

- المعلم الدعوي الثاني: انتقاء الألفاظ حال العرض بما يؤثر عاطفيا في حال المتلقي:

---

(203) البخاري، "باب الساعة التي في يوم الجمعة" 316/1.
(204) يعرفون: يفهمون ويعقلون.
(205) البخاري، "باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا" 37/1.
(206) مسلم، *صحيح مسلم*، "باب النهي عن الحديث بكل ما سمع" 9/1.
(207) البخاري، "باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا" 59/1.

نلاحظ أن الله عز وجل حينما تحدث عن اقتراب القيامة في آيات أُخر، أطلق عليها أسماءً مغايرة لاسم الحساب في هذه السورة، فقال جل وعلا: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ"[208]، "وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ"[209].

قال العلامة فخر الدين الرازي: "الفائدة في تسمية يوم القيامة بيوم الحساب أن الحساب هو الكاشف عن حال المرء فالخوف من ذكره أعظم"[210].

فكونهم في غفلة استخدم ما يثير الخوف في نفوسهم حتى يستفيقوا من هذه الغفلة، وهذا أنفع لحالهم.

"لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[211].

جاءت هذه الآية في سياق رد آخر على الكافرين لما قالوا عن القرآن الكريم: "أضغاث أحلام"، وكأن الله تعالى يحرك عقولهم ويقول لهم: هذا الكتاب جعلت فيه ذكركم، فإذا أسأتم الكلام فيه أسأتم لأنفسكم، وإذا آمنتم به أحسنتم لأنفسكم، ففيه عزكم ورفعتكم.

وهذا ما يؤيده كلام المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين"[212].

ـ المعلم الدعوي: منح المدعو قيمة وشأنا، هو أسلوب عاطفي تحفيزي للامتثال للدعوة:

من الأساليب المهمة في الدعوة، مراعاة نفسية المدعو في إعطائه قيمة وشأنا؛ لكسر حاجز الكبر في نفسه وتمهيد الطريق له، لسلوك درب الهداية، وهذا الأسلوب رعاه الله عز وجل في قوله: "لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ" لعله ينفع في إزالة غشاوة الكبر عن بعض النفوس، وكذلك نجد عناية النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(208) القمر، 1/27.
(209) الأنبياء، 97/17.
(210) الرازي، *مفاتيح الغيب*، 140/22.
(211) الأنبياء، 10/17.
(212) مسلم، *صحيح مسلم*، "باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه" 559/1.

بهذا الأسلوب في كثير من المواقف، منها قوله في فتح مكة: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"[213]، فعلى الرغم من تمكين الله لنبيه أعطى قيمة لسيد مكة وأهلها. "وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ"[214].

ـ المعنى العام: القصم في اللغة: يأتي بمعنى الدَقُّ للذي حل عليه القصم، أو كسر الشيء الشديد[215].

جاء التعبير في هذه الآية عن الإهلاك بالقصم؛ لبيان شدة وفظاعة الإهلاك، ولاحظ الفرق حتى من ناحية حروف اللفظتين، القصم والكسر، الأولى حوت من حروف الشدة والاستعلاء على عكس الثانية.

وهنا أيضا نلاحظ جمال التناسب بين لفظتي "قصمنا" و "ظالمة" وبين معانيها، فأشد أنواع الظلم هو الإشراك بالله، قال الله عز وجل: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"[216]، لذا شدة الإهلاك بالقصم ناسبت شدة الظلم والتكبر على الله، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: "الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي، قصمته"[217].

"وأنشأنا بعدها قوما آخرين" وهذه سنة الله الجارية فيمن استخلفهم في أرضه، إذا عتو عن أمره، قال الله تعالى: "وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ"[218].

ـ المعلم الدعوي: يعتبر الترهيب أسلوبا من الأساليب العاطفية المستخدمة في استمالة الآخرين، وهذا ما نلمسه كثيرا في كتاب الله تعالى ظاهرا جليا، وأحيانا خفيا ضمنيا، في كثير من الآيات ومنها هذه الآية، حيث عبر الله عز وجل عن الإهلاك بالقصم؛ لبيان شدة وفظاعة الإهلاك؛ ترهيبا لهم لعلهم يعدلون عن ظلمهم لأنفسهم، ويهتدوا إلى صراط الله المستقيم.

---

(213) مسلم، *صحيح مسلم*، "باب فتح مكة" 1405/3.
(214) الأنبياء، 11/17.
(215) ينظر: ابن منظور، *لسان العرب*، 338/5.
(216) لقمان، 13/21.
(217) الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، 129/1، حديث صحيح، وافقه الذهبي.
(218) سورة سيدنا محمد، 38/26.

"فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ"[219].

ـ المعنى العام: الحس: أمر يدرك بإحدى الحواس، والقرآن الكريم بين لنا أن الحس يكون بحالتين:

1- يكون بعد إدراك الشيء، قال تعالى: "فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ"[220]، أي فلما أدرك وعلم منهم الكفر.

2- يكون قبل إدراك الشيء، قال تعالى: "يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ"[221]، هذا الكلام نابع عن يقين سيدنا يعقوب عليه السلام بحياة ابنه، فقال لأبنائه تحسسوا، أي أعملوا حواسكم في إيجادهما وإدراكهما.

والحس المراد هنا في هذه الآية، هو الإحساس قبل وقوع العذاب ببوادر وقوعه؛ لأنه لا يستطيع الركض من وقع به العذاب؛ فكانوا يتحسسون الوقوع ليقينهم بصدق وعد الله ودعوة أنبيائهم عليهم السلام، لكن الكبر والظلم أعمى قلوبهم عن الهداية.

فحالهم هنا كحال الذي وضع على عينيه عصابة في طريق توسطته حفرة، فراح يتحسسها لعلمه بوجودها، ولو لم ينزل بهم البأس لكفاهم هذا العذاب والقلق في إعمال حواسهم ترقبَ الوقوع.

"لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون" لا تفروا، أين تلك العنجهية؟ أين ذلك الكبر؟ أين التسلط والظلم؟

ارجعوا إلى ترف السلطة، وترف الجاه، وترف المال، وترف المسكن والخدم والحشم، التي حجبتكم عن الله، لتحجبكم اليوم عن أمره، لعلكم تُسألون فتختالوا وتتباهوا كيف انتصرتم ودحرتم البأس والعذاب.

وهذا كله محمول على السخرية منهم كما سخروا من الذين آمنوا.

ـ المعلم الدعوي: ذكر تجارب الأولين من الأساليب العاطفية الناجحة والمؤثرة في الدعوة إلى الله تعالى، فهي تستميل المدعو وتؤثر فيه عاطفيا، وهي تذكير للمؤمنين:

(219) الأنبياء، 12/17 - 13.
(220) آل عمران، 52/3.
(221) يوسف، 87/12.

"وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ"[222]، ونذير للكافرين: "هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى"[223]، أي من وقائع الأمم السابقة.

"وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ"[224].

ـ المعنى العام: يرد الله تبارك وتعالى على من نسب له الولد من الملائكة، كما قالت العرب: إن الملائكة بنات الله، فقال: سبحانه بل عباد مكرمون، أي عنده في منازل عالية ومقامات سامية، أكرمهم الله بعبادته[225].

ـ المعلم الدعوي: نلحظ في هذه الآية سمو الأسلوب العاطفي في حلم الله عز وجل مع من أساء ونسب إلى ذاته العلية ما لا يليق به سبحانه، حيث قال المشركون: "اتخذ الرحمن ولدا" فأعقب الله عز وجل هذه الإساءة بيانا وتوضيحا لهم، أنه تنزه سبحانه عن هذه النقيصة وكل النقائص، وما الملائكة إلا عباد من عبيده المكرمين.

وحينما يأتي التوضيح من القوي ردا على إساءة الضعيف وهو في غنى عنه وعن التوضيح له، وقادر على أخذه أخذ عزيز مقتدر، فهذا هو أقصى درجات الحلم التي تدخل ضمن الأسلوب العاطفي في أساليب الدعوة.

وهذا من الأساليب التي تحلى بها حضرة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أنس بن مالك، قال: "كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء، من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك، ثم أمر له بعطاء"[226].

وهكذا كان حال أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعوتهم وتعاملهم مع من أساء لهم، فعن عبد الغفار بن القاسم قال: "كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد، فلقيه رجل فسبه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن

(222) الذاريات، 55/27.
(223) النجم، 56/27.
(224) الأنبياء، 26/17.
(225) ينظر: ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 296/5.
(226) مسلم، *صحيح مسلم*، "باب إعطاء من سأل" 730/2.

الحسين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعنيك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول"[227].

"إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ"[228].

ـ المعنى العام: هنا ينتقل الله تعالى من الحديث عن فريق الكفر إلى الحديث عن أهل الإيمان الذين سبقت لهم من اللَّه السعادة والبشارة بالجنة وثوابها، أنهم مبعدون عن النار، بعدا يتضح عِظمه من خلال قوله تعالى: "لا يسمعون حسيسها" فهم من شدة البعد عنها لا يسمعون صوتها[229].

"وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ" حالهم في دار الرضوان في تقلب فيما تشتهيه أنفسهم وفيما يصاحبهم من طمأنينة لا يشوبها قلق الفناء وزوال النعيم، فهم في خلود لا فناء بعده.

"لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ" يفسرها قول الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ"[230]، أي أن أهل الإيمان والاستقامة في ساعة الخوف والهلع من أهوال يوم القيامة تستقبلهم الملائكة وتتلقاهم بالطمأنة لتزيل عنهم الروع، وتزف لهم البشارة أن هذا اليوم هو يومكم الموعود.

ـ المعلم الدعوي: الترغيب في رحمته تبارك وتعالى وأمانه، أسلوب عاطفي يستميل القلوب الحية ممن لم يسلكوا طريق التوحيد بعد، وكذلك هو تعزيز وتحفيز وتثبيت لأهل الإيمان، أنهم في أمان وتحصين ما داموا مع الله عز وجل.

---

(227) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، *صفة الصفوة* (القاهرة: دار الحديث، ط1/ 1421هـ - 2000م)، 357/1.

(228) الأنبياء، 101/17 - 103.

(229) ينظر: ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 156/17. ينظر: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، *تأويلات أهل السنة* (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1426هـ - 2005م)، 379/7.

(230) فصلت، 30/24.

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[231].

ـ المعنى العام: "ما" أداة نفي، و"إلا" أداة حصر وتخصيص، أي ما أرسل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلا ليرحم به، فكان صلى الله عليه وآله وسلم الرحمة المهداة وكلمة "رحمة" جاءت نكرة؛ لتشمل كل معاني الرحمة، ولم تقتصر على فئة دون أخرى وإنما هي عالمية للعالمين جميعا.

ـ المعلم الدعوي: بيان علة الرسالة والدعوة للمدعوين، أنها جاءت بتعاليمها وتوجيهاتها وأحكامها رحمة بهم ولأجلهم وفي صالحهم، هو أسلوب عاطفي في توجيه الخطاب للمقابل، أني أريد الخير لك رحمة بك، فلا تعرض عنه، وهذا الأسلوب يتضح جليا في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"[232].

2.1.3. الأساليب الحسية

أحيانا يقصر العقل عن الإدراك ويضلل، وكذلك العواطف قد تتحجر من شدة الضلال والانهماك في الغفلة وشهوات الدنيا، فيبرز هنا أهمية الأسلوب الحسي والملموس في الدعوة إلى الله تعالى، لذا سنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على الأساليب الحسية المتبعة في الدعوة، وذلك في سبع آيات من سورة الأنبياء:

"وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"[233].

ـ المعنى العام: أهل الذكر فيها أكثر من معنى[234]:

الأول: والذي أرجحه: العلماء المؤمنون من أهل التوراة والإنجيل: "وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ"[235]، فالله شهد لهم بالصدق والإيمان، وهم أهلٌ للسؤال.

---

(231) الأنبياء، 107/17.
(232) ابن حبان، صحيح *ابن حبان*، "باب ذكر مقاساة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه في إظهار الإسلام" 518/14.
(233) الأنبياء، 7/17.
(234) ينظر: الماوردي، *النكت والعيون*، 438/3.
(235) آل عمران، 199/4.

أخرج الطبري بإسناده عن قتادة: قوله: "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ" يقول: "فاسألوا أهل التوراة والإنجيل"[236].

الثاني: أهل التوراة والإنجيل عامة: وهنا يتبادر سؤال للذهن، كيف يأمر الله عز وجل بسؤال اليهود والنصارى وهم ليسوا أهلا للثقة؟ والجواب إذا شاع الخبر وتواتر كشيوع شمس الصبح التي لا تحجب بغربال، لم يستطع أحد أن ينكره وإن أراد الإنكار، لذلك صح سؤالهم وإن لم يكونوا مسلمين.

الثالث: وهو بعيد: أخرج الطبري بإسناده عن جابر الجعفيّ قال: "لما نزلت "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ" قال عليّ: نحن أهل الذّكر"[237].

ورغم أن هذا المعنى بعيد لكنه يصح إذا أطلق، فعندما يشكل أمر على الناس، لا بد من الرجوع فيه إلى أهل العلم من أهل القرآن.

ـ المعلم الدعوي: تعتبر محاججة المنكرين بإشهاد طرف ثالث محايد من الأساليب الدعوية الحسية، لكن بشرط ضمان الإجابة الحقة من الشاهد، وتُضمن الإجابة بأحد أمرين:

إما بضمان صدق الشاهد، أو تواتر الخبر، وشيوعه شيوعا لا يمكن إنكاره، وهذا يعتمد على حنكة الداعي إلى الله عز وجل في حسن تقدير الأمور.

"أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ"[238].

ـ المعنى العام: "أَمِ اتَّخَذُوا" أسلوب إنكاري على ما يشركون من آلهة مع الله تعالى، "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ" إن كان لكم برهان يؤيد هذا البهتان فهاتوا ما لديكم!

فهذا ذكر السابقين واللاحقين يؤكد الزور والظلم الذي تدعون، ويؤكد أن الله تعالى واحد لا شريك له.

"بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ" أي أن أكثرهم لا يتبعون الحق؛ لأنهم معرضون.

---

(236) الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 6/9.
(237) المصدر نفسه.
(238) الأنبياء، 24/17.

ـ المعلم الدعوي: الأسلوب الذي ورد في هذه الآية في محاججة المشركين أسلوب حسي، حيث تم بسط الأدلة المحسوسة من ذكر الأولين والآخرين في قوله: "هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي".

"أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"[239].

ـ المعنى العام: أي أولم يعلم الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا كتلة واحدة ففتقنا رتق السماء فأمطرت، والأرض فأنبتت[240].

"وجعلنا من الماء كل شيء حي": أي وجعل حياة كل شيء من الماء وبالماء.

"وجعلنا في الأرض رواسي": أي جعل فيها جبالا ثابتة شامخة: "وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ"[241].

"وجعل فيها فجاجا سبلا": أي جعل الله عز وجل في الأرض طرقا ممهدة للسير عليها.

"لعلهم يهتدون": لعل هذه البراهين التي يرونها في الكون من حولهم تقودهم للهداية بأن الصانع هو الله وحده لا شريك له.

ـ المعلم الدعوي: دلت هذه الآيات على أسلوب آخر من الأساليب الحسية، حيث خاطب الله عز وجل الكافرين منبها لهم ومخاطبا إحساسهم الذي يستشعر الأشياء المحسوسة من حولهم والذي يقود الإنسان إلى رؤية الهدى والحق.

ألم ير الذين كفروا هذه العظمة الربانية، أن السموات والأرض كانتا كتلة واحدة لا خرق فيها، ففتقنا السماء بالمطر، والأرض بالنبات، وجعلنا من الماء كل شيء حي، إذ ديمومة حياة الخلائق بالماء، وجعلنا في الأرض جبالا ثابتة شامخة كي لا تختل

(239) الأنبياء، 30/17 - 33.
(240) ينظر: الماوردي، *النكت والعيون*، 444/3.
(241) المرسلات، 27/29.

بهم الأرض وتضطرب، وجعلنا فيها فجاجا وطرقا سالكة ممهدة للسير فيها، لعل إحساسهم بهذه الآيات والنعم الكونية تقودهم للهداية بأن الله هو الواحد الأحد.

"بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ"[242].

ـ المعنى العام: أي متعنا أهل مكة وبسطنا لهم ولآبائهم في نعيمها، حتى امتد بهم الزمان وهم يتقلبون في النعم، فاغتروا بها وظنوا أنهم لن يُسلبوها، فجاءهم الرد من الله تعالى قائلا: "أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها" أي بالظهور عليها بأن نفتحها على المسلمين بلداً بلداً وأرضاً بعد أرض بتسليط المسلمين عليها، وهنا أسند الله عز وجل الأمر إلى نفسه تعظيما لهم، وتعظيما لفريضة الجهاد ومقام المجاهدين[243].

ـ المعلم الدعوي: تحدثت الآية عن المتاع الممتد والموروث عبر الزمن الذي أخرج الفطرة عن وضعها السليم إلى الترف، والترف يفسد القلب ويبلد الحس، فينتهي الأمر إلى ضعف الحس بالله، وانطماس البصيرة، فتنظر العين ولا يبصر القلب آيات الله تعالى[244].

وهذا نوع من الأساليب الحسية، إذ يخاطب الله عز وجل الكافرين مستفهما عن آلة البصر إحدى منافذ الحس إلى القلب: "أَفَلا يَرَوْنَ" الآيات والبراهين المحسوسة التي تقودهم إلى وحدانية الله تعالى وصدق الدعوة.

---

(242) الأنبياء، 44/17.

(243) ينظر: القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 292/11. ينظر: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن* (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ - 1992م)، 331/8.

(244) ينظر: سعيد حوّى، *الأساس في التفسير* (القاهرة: دار السلام، ط6/ 1424هـ)، 3464/7.

2.2. دعوة الأنبياء عليهم السلام (سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجا)

الدعوة إلى الله عز وجل هي سبيل الأنبياء عليهم السلام وكل من اتبعهم، قال تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحَانَ اللَّهِ ومَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ"[245].

وكان مما أُجمل في سورة الأنبياء، ذكر دعوات الأنبياء عليهم السلام، وتوضيحها وعرضها بأسلوب بليغ، ما بين تفصيل وإيجاز؛ ليكونوا نماذج حيّة، يحذوا حذوها الدعاة، ويقتبسوا من تلك الأنوار، ويهتدوا بهداها: "أُوْلَئِكَ الَذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ"[246].

وقد اخترت من بين تلك الدعوات المباركة دعوة أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ وذلك لأنها أكثر دعوة فصلت في سورة الأنبياء، كما أن سيدنا إبراهيم عليه السلام مؤسس الحنيفية، وهو أحد أولي العزم من الرسل، وقد أُمِر نبينا الكريم صلى اللـه عليه وآله وسلم باتباع ملته، قال تعالى: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ومَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ"[247].

2.2.1. جانب من صفاته الدعوية

وصف الله عز وجل خليله إبراهيم عليه السلام بعدة صفات، جاءت متفرقة في أكثر من سورة وآية، بعضها صرح به والآخر جاء تعريضا في سياق النص، منها:

أنه كان: أمة، ووفيا، وقانتا، وحنيفا، وشاكرا، وحليما، وأواها، وسخيا، وصابرا، وذا قلب سليم.

---

(245) يوسف، 108/13.
(246) الأنعام: 90/7.
(247) النحل: 123/14.

لكن الصفات التي وردت في الآيات الثلاث من سورة الأنبياء، أنه وصف عليه السلام بـــ:

الداعية الرشيد: "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ"[248].

معنى رَشَدَ: دلالة على استقامة الطريق، والرَشادُ: خلاف الغَيّ[249].

خص الله تعالى الخليل إبراهيم عليه السلام في الابتداء بالتعريف بالنعمة التي أنعمها عليه وهي صفة الرشد التي آتاها إياه؛ ولولا هذه الصفة لما استطاع أن يميز بين الحق والخلق، لذا أنكر على قومه عبادة الكواكب والتماثيل.

فكان الرجل الرشيد في الوقت الذي كان كبار قومه لم يبلغوا الرشد؛ إذ ليس هناك سن محددة للرشد ولا يوجد نص شرعي يحدد له سنا معينا، بل هو متروك لاستعداد الشخص، وللبيئة والتربية التي تأهله لذلك، أما سيدنا إبراهيم عليه السلام فقد رباه الله عز وجل وهيئه ليكون أهلا للرشاد.

الداعية الشجاع: "وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ"[250].

يتضح من خلال هذه الآية موقف الداعية الشجاع الذي لا يخشى في الله لومة لائم والذي امتلأ صدره ثقة وإيمانا بالله وحده، حيث يصف الله تعالى موقف المواجهة الذي انبرى له سيدنا إبراهيم عليه السلام أمام الباطل، ليواجه قومه متحديا مقسما بالله تعالى، مشفعا قسمه بالتأكيد مرتين باللام، وبنون التوكيد، في قوله: "لأَكِيدَنَّ" دون خشية من بطشهم، ليبرَّ بعد ذلك بقسمه دون تراجع أو تريث، دلالة على أن القرار لم يكن عشوائيا، أو نتيجة اندفاع عاطفي، وإنما خرج مدروسا لا يشوبه خوف ولا تهور.

---

(248) الأنبياء، 51/17.

(249) ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (بيروت: دار العلم للملايين، ط4/ 1407هـ - 1987م)، 474/2.

(250) الأنبياء، 57/17.

وبعد أن حطمها وجيء به، أحال السؤال إلى كبير الأصنام الذي أبقاه، فاعترفوا أنهم بلا حياة لا ينطقون، فقال لهم قولة من لا يخشى العذاب أو الموت، قولة الداعية الشجاع الذي يريد الآخرة:

"أُفٍّ لَّكُمْ ولِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[251].

وما ذلك إلا لعلم سيدنا إبراهيم عليه السلام أن من كان الله معه فمن عليه، وأن ما أصابه لم يكن يخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فكان منهجاً في الشجاعة المنضبطة بلا تهور، يحذو حذوه الدعاة في مواجهة الباطل وإحقاق الحق.

الداعية العابد: "وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ"[252].

المقصود في هذه الآية سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام؛ فالضمير هنا عائد إليهم بحسب الآية التي سبقتها: "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلا جَعَلْنَا صَالِحِينَ"، وقد أكد الله تبارك وتعالى لهم شرف هذه الصفة، صفة العبودية في قوله عز وجل: "وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ"[253].

فالوصف بالعبودية لله: هي أعلى مراتب الشرف التي ينتسب بها العبد إلى خالقه، وأسمى ما يتقرب به المتقربون إلى الله عز وجل.

ولهذا نجد أن الله تعالى وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعبودية، وزاده شرفا إلى شرفه العظيم صلى الله عليه وآله وسلم بالإضافة والانتساب إليه تبارك وتعالى، في تشريفه بالرسالة، فقال: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا"[254].

(251) الأنبياء، 67/17.
(252) الأنبياء، 73/17.
(253) ص، 45/23.
(254) الفرقان، 1/18.

وهنا نلحظ القرينة العقلية، والنقلية عن الله تعالى، بين العبودية والرسالة أنهما متلازمان لا ينفكان عن بعضهما البعض؛ لأن العبودية هي مقتضى حمل الأمانة والقيام بها، فلا يتخيل رسولا غير متحقق بهذه الصفة.

وحينما تطلق صفة العبودية على أحد ما، فهذه تزكية في حقه؛ لأنها تعني أنه قد شغل كل وقته بما يناسب ذلك الوقت من طاعة، فإن كان جهادا انبرى له، وإن كان ذكرا انبرى له، وإن كانت صدقة انبرى لها، وإن كان ضيفا قام بواجبه، وإن رأى ملهوفا كان في إغاثته، وإن كان مع أهله وأولاده أحسن صحبتهم، وإن رأى جاهلا علمه، وإن قصده ذو حاجة مشى معه في قضاء حاجته وأعانه عليها، فهو دائمًا مسارع في الخيرات.

2.2.2. جانب من منهجه الدعوي

يعتبر سيدنا إبراهيم عليه السلام في منهجه الدعوي عدة الداعي المتكامل، إذ جسد لنا القرآن الكريم منهجه في بناء الأسرة مع أهل بيته، الأزواج والأولاد، ومنهجه مع عمه، ومنهجه مع عوام قومه، ومنهجه مع الملك ووجهاء القوم، ومنهجه في التعامل مع النفس والشيطان، ومنهجه في المعاملة مع الله تعالى في العسر واليسر، إلا أننا سنتناول في هذا المطلب جانب من منهج سيدنا إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك حسب ما جاء في سورة الأنبياء:

أسلوب التدرج في تغيير المنكر: سلك سيدنا إبراهيم عليه السلام في إقناع قومه طريق السؤال والاستفهام عن جدوى الأصنام والعكوف لها، فقال: "مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ"[255]، هل تسمع الدعاء أو تجلب النفع أو تدفع الضر، فما وجد إلا تبعية عمياء: "قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ"[256].

(255) الأنبياء، 52/17.
(256) الشعراء، 71/19 - 74.

بعد أن ابتدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه بالسؤال، كان جوابهم جواب المراوغ الذي يريد التخلص من الجواب المراد، "الا، لا يسمعون ولا ينفعون ولا يضرون" فما كان من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلا إعلان النكير: "قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"[257].

ثم أتبع القول فعلا في بيان الحق، ودخل بهذا مرحلة صعبة وخطرة من مراحل الدعوة والإقناع أن هذه الأصنام لا جدوى منها، فأقسم: "وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ"[258]، فسمعها بعض القوم، وبادر سيدنا إبراهيم عليه السلام: "فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إلاَّ كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إلَيْهِ يَرْجِعُونَ"[259].

أسلوب الداعية الحكيم: أسلوب الحكيم: هو عبارة عن ذكر الأهم تعريضا للمتكلم على تركه الأهم[260].

لما أنكر سيدنا إبراهيم عليه السلام على قومه عبادتهم للأصنام التي ورثوها عن آبائهم: "قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"[261]، بادروا بسؤاله: "قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ"[262]، فرد عليهم: "قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ"[263].

والإجابة هنا لا علاقة لها بسؤالهم، وكأن سيدنا إبراهيم عليه السلام بحكمته يريد لفت أذهانهم، أن الأجدر بكم أن تسألوا، إذا كنا قد ضللنا في عبادتنا فمن هو ربنا المعبود؟

وهذا هو أسلوب الحكيم الذي يُتلقى به المخاطب بغير ما يتوقع، تنبيها له أنه ترك الأهم الذي ينبغي أن يذكره.

---

(257) الأنبياء، 54/17.
(258) الأنبياء، 57/17.
(259) الأنبياء، 58/17.
(260) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، *التعريفات* (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1403هـ - 1983م)، 23/1.
(261) الأنبياء، 54/17.
(262) الأنبياء، 55/17.
(263) الأنبياء، 56/17.

أسلوب استثارة الخصم: الغاية من هذا الأسلوب، لفت الأنظار، وتنبيه العقول، وتحريك القلوب وجذبها، إلى الأمر الذي يدعو إليه الداعية.

وسيدنا إبراهيم عليه السلام اعتمد هذا الأسلوب لما ترك الصنم الكبير ولم يكسره: "فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ"[264]، هذا الأسلوب استثارهم وجعل كثيرا من التساؤلات تطرح نفسها، من فعل هذا بآلهتنا؟ لِم لمْ يحمِ الصنم الكبير صغاره؟ لِم لمْ يُلحق الصنم الكبير الأذى والعذاب بالجاني؟

ثم قام باستثارتهم مرة أخرى عندما سألوه عليه السلام عن الجاني، فقال: "قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُون"[265]، إذ نسب التحطيم إلى جماد لا يملك من الأمر شيئا؛ ليقفوا عند حقيقة الاستحالة، ووجههم إلى سؤاله هذا إن استطاع أن ينطق بحرف، لذلك كان جوابهم جواب الحمقى المغفلين: "لقد علمت ما هؤلاء ينطقون" هنا تورطوا بهذه الإجابة، وهذا ما كان يصبو إليه عليه السلام؛ ليندفع بعد ذلك بقوة مستثيرا عقولهم، فقال مفحما لهم: "أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُون"[266].

الأسلوب العملي في الدعوة: لم تك دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام مقتصرة على الكلمة في دحض حجج القوم فحسب، بل توسع ليشمل الأسلوب والجانب العملي في دعوته، فحطم الأصنام التي تعلق بها قومه تعلقا أعمى أنساهم النظر في حقيقتها، فكان التحطيم لا لفورة أو حمية، بل لغاية دعوية، وهي إتْباع دعوتهم بالكلمة ببيان فعلي: "فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ"[267]، والآية هنا تبين مدى الإيضاح والتنبيه الذي أراد سيدنا إبراهيم أن يوصله لقومه ليستفيقوا من غفلتهم، حينما ترك كبير الأصنام، لعلهم إليه يرجعون، فيتحقق ما كان يسعى إليه من هذا

(264) الأنبياء، 58/17.
(265) الأنبياء، 63/17.
(266) الأنبياء، 66/17 - 67.
(267) الأنبياء، 58/17.

الأسلوب الدعوي الأمثل، وعلى الفعل حدث المطلوب لـمّا قالوا: "لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ"، هو أراد أن يصلوا هذه الحقيقة، وحصل ذلك.

كذلك تحقق مراد سيدنا إبراهيم عليه السلام بفعله الذي قام به عندما قالوا: "حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ" فأي آلهة هذه التي تحتاج إلى من ينصرها.

3. الفصل الثالث: معالم الدعوة فيما يخص المدعو

المدعو: هو كل مخاطب بالإسلام، بالغ، عاقل، مكلف بقبوله، والإذعان لتعاليمه، ذكرا كان أو أنثى، دون النظر إلى العرق أو اللون أو الفروق الأخرى التي وضعها البشر فيما بينهم[268].

ومن الأمور التي يجب على الداعي مراعاتها تجاه المدعو، أن يسعى ويأتي إليه؛ ليقدم له دعوته ممزوجة بالرحمة والشفقة، طلبا لنجاته وهدايته، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع قريش والوافدين إلى مكة في أوقات المواسم، وذهابه إلى أهل الطائف وغيرهم[269].

قال ابن إسحاق: "فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه في المواسم إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه، حتى يبين لهم ما بعثه الله به"[270].

وغالبا حينما يقوم الدعاة بواجب الدعوة تجاه المدعوين، نجد أن المجتمع ينفرز وينقسم إلى أصناف، كل صنف في خندق، فهناك خندق للإيمان، وخندق للكفر،

(268) ينظر: عبد الكريم زيدان، *أصول الدعوة* (د.ب: د.د، ط3/ 1396هـ - 1976م)، 358.
(269) ينظر: المصدر نفسه.
(270) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين، *السيرة النبوية لابن هشام* (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2/ 1375هـ - 1955م)، 422/1.

وآخر للنفاق وأهله، وهذا معلوم منذ نشأة الدعوة إلى الله تعالى، نبيا بعد نبي ورسولا بعد رسول.

وقد اجتهد أهل الاختصاص وهذا الفن في تصنيف المدعوين عدة تصانيف، كل حسب رؤيته وما ذهب إليه، فمنهم من قسمهم إلى قسمين: أمة الإجابة، وأمة الدعوة، والبعض قسمهم إلى: مسلمين، وأهل الكتاب، والمشركين، والمنافقين، والملحدين، وقسمهم الدكتور عبد الكريم زيدان إلى: الملأ، وجمهور الناس، والمنافقين، والعصاة[271].

أما التقسيم الذي نحن في صدده، فحسب حال المدعوين أمام الدعوة: إيمان وتصديق، وكفر وتكذيب.

والمتتبع لأحوال المدعوين في سورة الأنبياء يجد أن السياق فيها قد اقتصر على الكافرين والمكذبين، ما بين وصف لطبيعتهم وأحوالهم، وموقفهم من الدعوة وتآمرهم على الدعاة، والنهاية التي ختم لهم بها.

3.1. طبيعة المكذبين ونهايتهم

إن الكافرين والمكذبين بطبيعتهم يسلكون كل سبيل من شأنه محاربة الدعوة والصد عن سبيل الله عز وجل؛ ليحفظوا شهواتهم وجاههم وسلطانهم القائم على الطغيان وظلم الناس والتعدي على الحقوق العامة والخاصة، فهم يعلمون أن اتباع الدعاة ودعوتهم هو رسم حدود لتلك الشهوات وتقييد لتلك الحريات الباطلة، فحريتهم في منظور المنهج الإلهي لا تعني التعدي على حريات الآخرين، وسيادتهم لا تعني استعباد الآخرين، وشهوتهم لا تبيح لهم كل ما تهواه النفس إلا ما أباحته الشريعة.

(271) ينظر: عبد الكريم زيدان، *أصول الدعوة*، 365. ينظر: حمود بن أحمد الرحيلي، *أصناف المدعويين وكيفية دعوته* (دمشق: دار العلوم والحكم، ط1/ 1414هـ - 1994م)، 63.

لذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد كلمة من كفار قريش فقال لهم: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"[272].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعوده وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل، فقعد فيه، فشكوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، قال: ما شأن قومك يشكونك يا ابن أخي؟ قال: "يا عم، إنما أردتهم على كلمة واحدة، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية" فقال: وما هي؟ قال: "لا إله إلا الله" فقاموا، فقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ قال: ونزلت: "ص والقرآن ذي الذكر" إلى قوله: "إن هذا لشيء عجاب"[273].

فهذه الكلمة العظيمة على ما فيها من خير عظيم، لم يعطوها لرسول الله صلى الله عليه وآله سلم؛ لأنهم يعلمون أنها ليست مجرد كلمة تنطق، وإنما واقعا عمليا يطبق، وهم يعلمون أن هذه الكلمة تعني ترك ما هم عليه من ضلال؛ لذلك سلكوا كل السبل في محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والوقوف في طريق دعوته.

3.1.1. الإعراض عن الدعوة

إن الإعراض عن الدعوة من صفات المكذبين التي بينتها سورة الأنبياء ، وذلك في سبع آيات وردت فيها:

"اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُم..." [274].

(272) ابن حبان، *صحيح ابن حبان*، "باب ذكر مقاساة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه في إظهار الإسلام" 518/14.

(273) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، *مسند الإمام أحمد بن حنبل* (د.ب: مؤسسة الرسالة، ط1/ 1421هـ - 2001م)، 458/3. الترمذي، *سنن الترمذي*، "باب ومن سورة ص" 219/5، قال حديث حسن صحيح. الحاكم، المستدرك على الصحيحين: 469/2، - 3617 - باب تفسير سورة ص، قال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وافقه الذهبي.

(274) الأنبياء، 1/17 - 3.

ـ المعنى العام: "اقترب" بصيغة الماضي دلت على حتمية وتحقق الحساب لا محالة، لكن الناس منشغلين في الدنيا وشهواتها فحجبوا بالغفلة والإعراض عن إدراك هذه الحقيقة[275].

أما الآية الثانية: ففيها يبين الله عز وجل حجم الغفلة في الآية الأولى التي أوصلتهم إلى الإعراض، لدرجة أنهم كلما أتاهم ذكر من الله عز وجل انشغلوا عنه حال سماعهم له، باللعب والأمور التافهة.

والذكر: هنا هو الصيغة العربية للقرآن، قال تعالى: "ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ"[276]، وكلمة ذي أداة تستخدم للوصف، أي والقرآن ذي الصيغة واللسان العربي، ولهذا قال عز وجل في الآية العاشرة من السورة: "لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"، أي بلسانكم، وبهذا الفهم ندرك معنى المحدث في الآية.

فالمحدث: هنا الذكر وليس القرآن، فالقرآن كلام الله القديم، أو قد يكون المقصود به: محدث للخلق لأنه نزل على رسوله إليهم حديثا، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " أخرج بن أبي حاتم من طريق هشام بن عبيد الله الرازي أن رجلا من الجهمية احتج لزعمه أن القرآن مخلوق بهذه الآية فقال له هشام محدث إلينا، محدث إلى العباد"[277].

ثم يصف الله تعالى حال قلوبهم: "لاهية قلوبهم" بأنها لاهية عن الذكر لأنها حجبت بالمعصية والإعراض عن الحق، فهي في لهو دائم.

ـ المعلم الدعوي: القلوب المريضة المحجوبة تلهو عن الذكر وتشتغل بالباطل، وإذا فسدت مضغة القلب تبعتها الجوارح بالفساد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد

(275) المعارج، 6/29 - 7.
(276) ص، 1/23.
(277) الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار المعرفة، ط1/ 1421هـ - 2001م)، 506/13.

الجسد كله، ألا وهي القلب"[278]، فترى الفساد ينتقل إلى الجوارح لينتج إعراضا عن الحق.

لذلك من ضمن العقبات التي يواجهها الدعاة في دعوتهم كثرة المعرضين والمكذبين، قال تعالى: "وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ"[279]، وهذا أمر لا بد من وضعه في الحسبان حتى لا يؤثر سلبا على العمل الدعوي، وحسبُ الداعي إلى الله مكرمة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسيدنا علي كرم الله وجهه: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[280]، وفي رواية "خير لك مما طلعت عليه الشمس"[281].

"أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ"[282].

ـ المعنى العام: "أَمِ اتَّخَذُوا" صيغة إنكار على ما يقومون به من إشراك بالله تعالى، "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ" أي القوا برهانا واحدا يبرهن صحة ما تقومون به، ويبطل ما جئت به أنا والنبيين من قبلي، فهذا ذكر من معي وذكر من قبلي، إن كان لكم برهان!

"بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ" أي أكثرهم يكرهون الحق ولا يتبعوه؛ لأنهم منغمسون في الإعراض.

ـ المعلم الدعوي: يبين الله تعالى في هذه الآية حال المعرضين، فهم في الغالب الأعم لا ينفع معهم بيان ولا ذكر، حتى وإن كان هناك ما يعضد ويؤيد هذا الذكر من ذكر سابق، فهم في إعراض مركب مستمر، وفي هذه الآية أيضا تجسيد وبيان لحال المعرضين الذي جاء في الآيات الثلاث أول السورة.

---

(278) البخاري، "باب فضل من استبرأ لدينه" 20/1.
(279) فاطر، 4/22.
(280) البخاري، "باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه" 23/5.
(281) الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، "باب ذكر أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" 690/3، سكت عنه الذهبي في التلخيص.
(282) الأنبياء، 24/17.

"قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ"[283].

ـ المعنى العام: "قل" الخطاب هنا موجه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، "أنذركم بالوحي" أي بالذي نزل من القرآن الكريم، ولا يَسمَع دعاء المنذرين من حجب قلبه بالإعراض، وقرأ ابن عامر: "وَلاَ تُسْمِعُ" بالتاء المضمومة والميم المكسورة، أي ولا تستطيع أن تُسمع من صُمّ سمعه بالغفلة والإعراض[284].

ـ المعلم الدعوي: تتضح في هذه الأية خطورة الإعراض الذي يحجب العبد عن أنوار سيده، فيختم الله عز وجل على ذلك القلب، فلا يسمع الحق ولا يبصره.

أما خطاب الله لنبيه: بـ "قل"، ثم أتبع هذا الأمر بإخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن عدم سماعهم، إنما هو على سبيل إقامة الحجة عليهم وهذا المعنى يبينه الله تعالى في قوله: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[285].

فالمعرضون لما وقع منهم الكفر والإعراض، لم تعد تنفعهم النذر ولا التخويف من عاقبة الكفر بالله سبحانه؛ لأن شؤم الإعراض أصابهم بالغشاوة التي سلبت عقولهم، فهم لا يسمعون.

"إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ"[286].

ـ المعنى العام: الاستفهام الذي ابتدأ به سيدنا إبراهيم عليه السلام قوله، جاء بمعنى الإنكار والاستهزاء، والمراد من "أبيه": عمه، حيث بدأ الدعوة بعمه؛ لقربه منه، وإشارة إلى طمأنة القوم أن هذه الدعوة خير وإلا ما بدأ بأقرب الناس منه، فقال لهم منكرا فعلهم: ما هذه التماثيل التي تعكفون على عبادتها؟

---

(283) الأنبياء، 45/17.
(284) ينظر: السمرقندي، *بحر العلوم*، 427/2.
(285) البقرة، 6/1 - 7.
(286) الأنبياء، 52/17 - 53.

"قَالُواْ وَجَدْنَآ آبَآءَنَا"، وهذا جواب دل على أن لا حجة لهم فيما يفعلون، سوى أنهم رأوا آباءهم هكذا يفعلون، ولو كان لديهم حجة لذات الفعل لألقوها[287].

ـ المعلم الدعوي: من أشكال الإعراض عن الذكر والدعوة، اتباع السادة والكبراء، حتى وإن كان هذا الاتباع اتباعا أعمى، فإعراضهم يجعلهم يغيبون العقل ويكابرون على الحق، فيكونون دون الحيوان مرتبة؛ لأن الله عز وجل أنعم على الإنسان بنعمة العقل وميزه على بقية المخلوقات، بينما الحيوان لا عقل له، فحينما يغيب الإنسان عقله باتباع أعمى ينحط دون من لا عقل له، وهذا كله عائد إلى شؤم وعاقبة الإعراض عن الذكر والكفر بالله تعالى، وهذا ما بينه الله تعالى في قوله: "...لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"[288].

3.1.2. التآمر على الدعاة، والدعوة إلى التمسك بالباطل

سنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على طبيعة المكذبين في التآمر على الدعوة، وذلك في أربع آيات من سورة الأنبياء:

"...وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ"[289].

ـ المعنى العام: "وأسروا النجوى" أي أخفوا ما يحيكون من كلام بينهم للنيل من رسول الله ﷺ، ووصفهم الله تعالى بـ "الذين ظلموا" لأن أتعس أنواع الظلم للنفس: هو الإشراك بالله تعالى، كما قال الله عز وجل على لسان لقمان الحكيم: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"[290].

ثم استخدموا أساليب عديدة لصد الخلق عن الله تعالى:

فبدؤوا بأسلوب التشكيك: بزعمهم كيف تكون له النبوة وهو بشر مثلكم.

---

(287) ينظر: محمد متولي الشعراوي، *تفسير الشعراوي* (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، 1997م)، 9575/15.
(288) الأعراف، 179/9.
(289) الأنبياء، 3/17.
(290) لقمان، 13/21.

وبعدها بأسلوب الإنكار: كيف تقبلون السحر وأنتم تبصرونه سحرا، واستخدموا كلمة تبصرون بدل تعلمون؛ لأن حاسة العين أعلى مراتب الحواس التي يتأتى بها العلم يقيناً حال الإبصار ورؤية الشيء، فالمرء يوقن بالذي يراه أكثر من الذي يسمعه، وبهذا أرادوا حصر الأذهان في دائرة تصديق بهتانهم، على أن هذا الذكر الذي يأتي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سحر، وأنتم رأيتموه بأعينكم كيف يجذب القلوب ويأسرها.

ـ المعلم الدعوي: إن الإعراض عن الذكر أمر خطير إذا لم يعالج ويعود المرء إلى رشده، يتطور فيدخل في دائرة أخطر وهي التآمر على الدعوة والدعاة، ليتحول بعدها إلى الصد عن سبيل الله عز وجل، وهذا ما بينته الآية الكريمة.

لذلك كل ما يحاك للدعاة من مؤامرات وأقوال في الخفاء، تفضحها الأفعال الخالصة البيضاء، فالقول وحده لا يكفي مهما حَسُن إلا إذا تُرجم أفعالا خالصة لله، عندها سيكون سلاحا لا تهزمه المؤامرات، ولا اجتماعات الباطل في الخفاء، وهذا سلاح تسلح به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبل، في فضح بهتان الطغاة ورفع الغشاوة عن عيون البسطاء.

"بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ"[291].

ـ المعنى العام: دائما نجد أهل الباطل أصحاب مواقف ضعيفة ومتقلبة، لا يستقرون على أمر؛ لأنهم يعلمون قبل خصمهم أنهم على الباطل، وهذا ما بينه الله تعالى في متابعة تقلباتهم بين الافتراءات الكاذبة، فتارة لم يصدّقوه كونه بشر مثلهم لا يصلح للنبوة حسب افترائهم، وأخرى رموه بالسحر، ثم قالوا بأن ما جاء به أضغاث أحلام.

ذكر القرطبي: "أي قالوا هو أخلاط كالأحلام المختلطة أي أهاويل رآها في المنام، قال معناه مجاهد وقتادة، وقال القتبي: إنها الرؤيا الكاذبة، وقال اليزيدي: الأضغاث ما لم يكن له تأويل وقد مضى هذا في يوسف"[292].

(291) الأنبياء، 5/17.

وهنا أرجح ما ذهب إليه القتبي؛ لأن كلمة الأضغاث في هذه السورة استعملت للنيل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه بالكذب حاشاه، بينما في سورة يوسف استعملت في حق ملك مطاع ومهاب بين قومه، لذا لا يوجد توافق في المعنى بين الموقفين.

بعد ذلك رموه بالافتراء والكذب حاشاه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ادّعوا أنه شاعر، ورغم كل هذه الأباطيل والحجج الواهية أرادوا إثبات كلامهم بتحدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بمعجزة كما أرسل الأولون بالمعجزات، مثل سفينة نوح ونار إبراهيم وريح سليمان وناقة صالح وعصا موسى عليهم السلام وغيرها من معجزات الأولين.

وهذا كلام فارغ قد فات أوانه؛ لأنهم علموا ورأوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً من الآيات، منها ما كان إرهاصا قبل بعثته مثل:

تظليله بالغمامة عندما شهد بحيرا الراهب بنبوته بعد أن تأكد من خاتم النبوة في ظهره صلى الله عليه وآله وسلم[293].

ومنها ما كان معجزة بعد البعثة مثل:

انشقاق القمر له صلى الله عليه وآله وسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شقين، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اشهدوا"[294]، قال تعالى: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"[295]، وهذه السورة كما هو معلوم نزلت قبل سورة الأنبياء[296]، ثم يقول الحق في الآية التي تليها: "وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ" أي أنهم رأوا الآيات وعادوا إلى الإعراض والافتراء مرة أخرى، وهذا حال من قبلهم من المكذبين الذين

---

(292) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 270/11.

(293) ينظر: الترمذي، *سنن الترمذي*، "باب ما جاء في بدء نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم" 590/5.

(294) البخاري، "باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية فأراهم انشقاق القمر" 251/4.

(295) القمر، 1/27.

(296) ينظر: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، (بيروت: دار المعرفة، 1391هـ)، 193/1.

كانت عاقبتهم الهلاك، قال تعالى: "وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ"[297].

ـ المعلم الدعوي: إن المكذبين دائما يتمالؤون ويتآمرون ويفترون الكذب من أجل عرقلة الدعوة ومسيرتها، وعلى الرغم من ذلك تبقى شمس الحق لا تحجب بغربال ولا يصح إلا الصحيح، وهذه سنة الله في خلقه، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ"[298].

فمهما ادعى الطغاة والمنافقون والمشركون من ادعاءات كاذبة باطلة، ومهما زيفوا الحقائق وجملوا الباطل في عيون الناس، ليصدوا عن سبيل الله، فإنه سرعان ما يتهاوى أمام عظمة الحق، فمن اعتصم بالله ظهر وظفر، ومن حاد عنه خاب وخسر.

"وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ"[299].

ـ المعنى العام: أي يستهزءون بك ويقولون: "أَهذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ" أي أهذا الذي ينتقص من آلهتكم ويذكرها بسوء وينفي شأنها، وهم في الحقيقة أحق أن يستهزأ بهم؛ لأنهم في حالة من الكفر عطلوا فيها النظر في الآيات والدلائل التي تؤكد أن لهذا الكون خالق ومدبر واحد، فكفروا بالله المنعم وجحدوا بذكره أي القرآن الكريم، والتجأوا إلى عبادة أصنام صنعوها بأيديهم لا تنفع ولا تضر، فهم وآلهتهم في محط السخرية والاستهزاء[300].

ـ المعلم الدعوي: طبع المكذبين دائما على مر الدهور، يصورون للآخرين ويرون فيمن يخاصمونه ما هو فيهم، فيدعون الظلم لدى المقابل وفي الحقيقة هم الظلمة،

---

(297) فاطر، 25/22 - 26.
(298) الأنفال، 36/9.
(299) الأنبياء، 36/17.
(300) ينظر: سعيد حوى، *الأساس في التفسير*، 3457/7.

ويهزؤون بالذي يريد الخير لهم أو بالذي يتجنب قبيح أفعالهم، وهم في الحقيقة أهل للسخرية، لذلك قال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ"[301]، هذه الآيات وصفت هذا الحال في الكفار وصفا دقيقا، فهم في الحياة الدنيا يضحكون ويتغامزون ويسخرون من المؤمنين إذا مروا بهم، وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا بحالة من النشوة والإعجاب على ما قاموا به، وإذا رأوا المؤمنين رموهم بالضلال لأنهم تركوا عبادة الأوثان، وهم في الحقيقة قابعون في مستنقع الضلال والكفر، لذلك حينما يأتي يوم الحق تأتي الحقيقة معه، فيظهر من هو أحق أن يضحك منه، فترى المؤمنين من الكفار يضحكون.

"قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ"[302].

ـ المعنى العام: لما أدرك قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام وملكهم النمرود أن الذي حطم أصنامهم هو نبي الله إبراهيم، حكموا عليه بالإحراق، وقولهم: "حرقوه" بدل احرقوه: هو صيغة مبالغة للفعل تعبيرا عن عظم النار التي سيجمعون لها ويحرقوه فيها، وكل هذا الإجرام نصرة لتلك التماثيل.

ـ المعلم الدعوي: "حرقوه": هي دعوة واضحة وجلية للمؤامرة على من دعاهم للخير والنجاة من عذاب الله، فبدل أن يكون جزاء الإحسان إحسانا، كان الجزاء إجراما.

"وانصروا": هي دعوة للتمسك بالباطل؛ لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام دعاهم إلى توحيد الله عز وجل، وساق لهم الآيات والبراهين الدالة على ذلك، وبين لهم بطلان عبادتهم، ثم ألزمهم الحجة بتحطيم الأصنام، عندما لم تستطع دفعا عن نفسها

(301) المطففين، 29/30 - 34.
(302) الأنبياء، 68/17.

ولا نصرا، فكيف لها أن تدفع عن غيرها، فآلهة تحتاج إلى من ينصرها باطلة، ومن يدعو إلى نصرتها فدعوته باطلة ببطلانها.

3.1.3. نهاية المكذبين

إن الله تعالى يمهل عباده ليعودوا فإن تمادوا لم يهملهم، وهذه سنة الله تعالى المتجددة في خلقه عبر الزمان، فدائما ما نقرأ ونسمع ونلحظ تلك العواقب الوخيمة المترتبة على الظلم والتكذيب لشرعة الله، وهذه من جملة الأمور المتعلقة بموضوع الدعوة التي بينتها سورة الأنبياء، حيث سنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على نهاية المكذبين وهلاكهم، في ثلاثة عشرة آية وردت في هذه السورة:

"ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ"[303].

ـ المعنى العام: أي إن الله تعالى حقق لأنبيائه وأوليائه ما وعدهم به من نجاة ونصرة وتمكين، وختم للمتعالين المتكبرين الذين كفروا بربهم وكذبوا رسله بالإهلاك.

ـ المعلم الدعوي: مهما علا الباطل وأهله، ومهما تجبر الطغاة المكذبين، فإن مصيرهم إلى هلاك وزوال، أما الدعاة الصادقون الذين يحملون الرسالة بصدق فلا يضرهم أذى المنكرين؛ لأنهم داخلون في وعد الله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا..."[304].

"وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ

(303) الأنبياء، 9/17.
(304) النور، 55/18.

* قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ"[305].

ـ المعنى العام: "وكم" استُعملت هذه اللفظة تعبيرا عن الكثرة، أي كم من القرى التي أُهلكت بظلمها "قصمنا" دلالة على شدة وفضاعة الإهلاك، "وأنشأنا بعدها قوما آخرين" سنة الاستبدال هذه جعلها الله عقوبة لمن ظلم وكفر بأنعم الله تعالى، فمن يبدل نعمة الله كفرا، مصيره وما أنعم الله عليه به إلى زوال وغضب من الله، قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ"[306]، فلما أدركوا حِسّاً وقوع العذاب لا محالة أخذوا يركضون فرارا منه، ولن ينفع الظالم ركضه أو تحصنه في قصوره إذا جاء أمر الله عز وجل، لذلك اعترفوا بظلمهم بعد فوات الأوان، وراحوا يكررون "يا ويلنا إنا كنا ظالمين" حتى أصبحوا حصيدا مثل حصاد الزرع خامدين لا حركة لهم.

ـ المعلم الدعوي:

1ـ إن المتتبع لألفاظ العذاب المخيفة التي وردت في هذه الآيات: " قصمنا، بأسنا، حصيدا، خامدين" يدرك عدل الله تعالى مع من ظلم، فبقدر ذلك الحلم الذي عاملهم به والذي لا يحمله عقل بشر، كان حجم العقاب والعذاب.

2ـ من أدرك عظمة الله تعالى، أدرك هوان الظالمين المكذبين، ونعمة الإدراك هذه من أفضل ما تسلح به أهل الدعوة من قبل على مر التاريخ، من أنبياء وعلماء ومصلحين، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وسيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع صناديد قريش.

3ـ إن المتأمل في قوله تعالى: "وكم قصمنا من قرية" لفظ القرية جاء ليفيد العموم أي جميع من كان فيها بدون استثناء، وفي هذا دلالة على أن العباد إذا سقطوا من عين الله عز وجل، هانوا على الله ولو كانوا أمة بكاملها.

(305) الأنبياء، 9/17.
(306) إبراهيم، 28/13.

إن الإعراض والتكذيب لأنبياء الله ورسالاته هو سبب من أعظم الأسباب التي تمحا بها الممالك والأمم، وإن المتتبع للتاريخ يدرك هذه القضية، أنه ما من أمة ضيعت أمر ربها وأعرضت عن ذكره إلا وهانت عليه فأخذها بالعذاب، فعن جبير بن نفير قال: "لما فتحت قبرص وفرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض، رأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله عز وجل فصاروا إلى ما ترى"[307].

"لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"[308].

ـ المعنى العام: أي لو يعلم المشركون الذين يستعجلون وقوع العذاب، استهزاءً وتكذيبا، في قولهم: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين"، أن العذاب سيذوقوه لا محالة وأن المصير الذي سيلحق بهم مصير بئيس، ولو علموا شدة الإيلام والإحراق حين العذاب وعجزهم عن رد النار المحيطة بهم من كل جانب، وأنه لا مخلص لهم مما هم فيه ولا نصير، لما نبسو ببنت شفة مما اجترأوا على قوله.

"بل تأتيهم بغتة" أي تأتيهم النار فجأة، "فتبهتهم" فتدهشهم دهشة المستسلم الحائر الذي لا يستطيع الرد عن نفسه، "ولا هم ينظرون" ولا هم يمهلون[309].

ـ المعلم الدعوي: إن المستهزئين والمكذبين يجمعهم حال واحد يقودهم إلى هلاكهم، وهو الإغراق في حب الدنيا وشهواتها وملذاتها، بشكل يجعلهم يتناسون

---

(307) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، *السير لأبي إسحاق الفزاري* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1/ 1987م)، 142/1. أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، *سنن سعيد بن منصور* (الهند: الدار السلفية، ط1/ 1982م)، "باب تفريق السبي بين الوالد وولده" 290/2. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، *الزهد* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، "باب زهد أبي الدرداء رحمه الله تعالى" 142/1. أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، *العقوبات* (بيروت: دار ابن حزم، ط1/ 1996م)، 19/1. أبو نعيم، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، 216/1.

(308) الأنبياء، 39/17 - 41.

(309) ينظر: ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 343/5.

الآخرة، ويعشوا غفلة القوة والجاه والسلطة، فيقعوا في الغرور والإعجاب والكبر، ويظنوا أنهم خالدون ولن ينازعهم أحد، قال تعالى: "أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ"[310]، حتى إذا جاءهم وعد الله الذي سخروا منه، آنذاك لا تستطيع قوتهم كف النار عنهم، ولا جاههم ينصرهم، ولا سلطتهم تنظرهم أو تؤخرهم عما أحاط بهم من العذاب جزاء استهزائهم.

"وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ"[311].

ـ المعنى العام: أي أنهم أرادوا إلحاق الضرر بسيدنا إبراهيم وقتله حرقا بالنار، لكن سعيهم وما أنفقوا في ذلك انقلب عليهم، فباؤوا بخسران مبين.

ـ المعلم الدعوي: إن الأنبياء عليهم السلام لهم قدسية ومكانة عظيمة عند الله تعالى؛ فهم خيرة خلق الله والمبلغين عن الله، وكذلك كل من حمل وسام الدعوة في سبيل الله من أولياء الله تعالى.

فمن أحبهم وناصرهم، أحبه الله ونصره وكافأه على قدر صدق حبه لهم، ومن كرههم وعاداهم، كرهه الله وحاربه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب..."[312]، وهذا نص صريح بأن الله تعالى يعلن الحرب على من عادى أولياءه من الأنبياء والدعاة والمصلحين، ومن حاربه الله تعالى أهلكه.

لذلك ما من نبي كذبه قومه وآذوه إلا نصره الله وأهلك من عاداه وكذبه، قال تعالى: "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[313].

---

(310) البلد، 5/30.
(311) الأنبياء، 70/17.
(312) البخاري، "باب التواضع" 131/8.
(313) العنكبوت، 40/20.

"وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ"[314].

ـ المعنى العام: "نصرناه من" النصر يتعدى بـ على و من، فإذا كان بمعنى على: دل على الإعانة والتمكين، وإذا كان بمعنى من: دل على الإعانة والتمكين مضافا إليه الانتقام من العدو، "إنهم كانوا قوم سوء" أي أوغلوا في السوء والشر، وهي جملة عللت ما قبلها، ومهدت لما بعدها: "فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ"[315].

ـ المعلم الدعوي: أفادت الآية الكريمة معلما آخر في الدلالة على العاقبة الوخيمة والنهاية الأليمة التي ينالها المكذبون، وكيف أن الله تعالى إذا أخذ الظالم لا يفلته ولا يبق له ذكرا بعده من نسله، فأخذهم بعذاب الاستئصال.

إذ عمهم غضب الله تعالى: "فأغرقناهم أجمعين" فأخذهم جميعهم صغارا وكبارا، ذكورا وإناثا، فاستأصل شأفتهم وأوجب عليهم الإهلاك العام؛ جزاءً بما أصروا عليه من تكذيب الحق، وبما انهمكوا فيه من الشر والفساد[316].

"وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ"[317].

ـ المعنى العام: أي واقترب يوم القيامة، فإذا كانت وحصلت اندهش الكافرون وقالوا: "...هذا يوم عسر"[318]؛ لذلك قال الله عز وجل: "فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا" أي تشخص من هول ما يرونه من الخطب العظيم، ثم يعترفون بغفلتهم وظلمهم لأنفسهم، لكن دونما فائدة فقد فوات الأوان[319].

---

(314) الأنبياء، 77/17.
(315) ينظر: الآلوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، 70/9.
(316) ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد* (القاهرة: الناشر: د. حسن عباس زكي، ط/ 1419ه)، 481/3.
(317) الأنبياء، 97/17 - 98.
(318) القمر، 8/27.
(319) ينظر: ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 331/5.

"إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" أي أنتم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله من تماثيل وأصنام وقود جهنم[320].

ـ المعلم الدعوي: يختم الله تعالى للمكذبين بسوء أعمالهم في الدنيا كما مرّ في الآيات السابقة، ثم يجزون يوم القيامة بالذهول والخوف والرعب من فجأة وهول ما يشاهدون، لينتهي بهم المصير بعد ذلك فيكونوا وقود النار يحرقون فيها خالدين: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ"[321].

3.2. موقف الداعية من المكذبين

إن المواقف تتنوع وتتغير حسب الأشخاص والأزمان والحالات، وهذا ما نجده في السياق القرآني الذي صور لنا في قصصه وأخباره ذلك التنوع والتغير والاختلاف في مواقف الأنبياء عليهم السلام، من نبي إلى آخر، كل حسب قومه وحالهم والزمان الذي هم فيه.

لذلك حتى المعجزات التي آتاها الله أنبياءه عليهم السلام اختلفت بحسب الزمان والأقوام؛ لتكون في محل الحجة والإقناع، فلا يستطيع أحد معارضتها ولا يردها إلا

(320) ينظر: الماوردي، *النكت والعيون*، 472/3.
(321) فاطر، 36/22.

جاحد ومعاند، فعلى سبيل المثال نجد أن قوم سيدنا موسى عليه السلام تميزوا واشتهروا بالسحر فخاصموا بذلك نبيهم، فآتاه الله تعالى معجزة العصى: "فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ"[322]، بينما في زمان سيدنا عيسى عليه السلام أشتهر قومه بفنون الطب والمداواة، فآتاه الله تعالى معجزة حصول الشفاء على يديه، حتى ما استعصى من الأمراض التي لم يجد قومه حلا لها، قال تعالى: "وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي..."[323].

هذا التغير في مواقف الأنبياء عليهم السلام واختلاف المعجزات إن دل على شيء فإنما يدل على الحكمة الإلهية في الخطاب، وحكمة وحنكة الدعاة الذين أرسلهم الله عز وجل، حيث تعاملوا بموضوعية وحكمة في كل المواقف، على المستوى العام لأممهم، وعلى مستوى الأفراد كل حسب حاله ووضعه.

وهذا من كمال رحمة الله تعالى، وأنبياءه، والدعاة الذين يحملون رسالة الله عز وجل لخلقه، إذ الغاية من ذلك كله هو هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ ليسعدوا بدنياهم وأخراهم.

3.2.1. التوجه إلى الله تعالى وإحالة الأمر إليه

أعظم قوة يستند إليها الدعاة الصادقون وفي أصعب المواقف وأشدها خطورة هي اللجوء إلى الله تعالى وإحالة الأمر إليه، وهذا ما هون الأمر على أصحابه ليواصلوا طريقهم، وسنقف في هذا المطلب عند المعالم التي توضح موقف التوجه إلى الله تعالى وإحالة الأمر إليه، وذلك في ست آيات من سورة الأنبياء:

"قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[324].

(322) الأعراف، 119/9.
(323) المائدة، 110/7.
(324) الأنبياء، 4/17.

ـ المعنى العام: لما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدبر المشركون من مكر وما يسرون بينهم قال لهم: إن الله عز وجل سيكفيني ما تبيتون، فهو يعلم أحوالكم ويسمع أقوالكم، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ـ المعلم الدعوي: يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في موقفه هذا مع المكذبين الاطمئنان بالله تعالى وإحالة الأمر إليه، وكأنه يقول لكفار مكة، ما دام ربي يعلم حالي ونيتي وما أنا عليه، ويعلم حالكم وقولكم، فأنا مطمئن وهذا يكفيني ولا يهمني ولا يثنني مكركم ولا افتراؤكم عليّ.

والحقيقة أن هذا التعامل في توجيه القلب إلى الله عز وجل ساعة الضيق ومكر الماكرين، فيه تثبيت لصاحبه، فلا ينحني ولا يتزعزع لأنه مع الله والله معه.

"قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ"[325].

ـ المعنى العام: قال سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه لما أقروا أن آلهتهم لا تنطق: "أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم"؛ لأن العاجز عن السمع والكلام وعن نفع نفسه فيدفع عنها الضرر، لا يستطيع نفع غيره، "أُفٍّ لَّكُمْ" أي: قبحاً لكم، وشراً لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون[326].

"قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ" لما اتخذ سيدنا إبراهيم موقفه بتحطيم الأصنام وقال لهم قولته، حكموا عليه بالإحراق، وقولهم: "حرقوه" بدل احرقوه: هو صيغة مبالغة للفعل تعبيرا عن عظم النار التي سيجمعون لها ويحرقوه فيها، وكل هذا الإجرام نصرة لتلك التماثيل.

"قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ" هنا صدر الأمر الإلهي كوني فكانت، فجعل الله عز وجل فيها من البرد ما يدفع الحر, ومن الحر ما يدفع البرد,

(325) الأنبياء، 66/17 - 70.

(326) ينظر: القيسي، *الهداية إلى بلوغ النهاية*، 4770/7. ينظر: الجزائري، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، 422/3.

فتحولت سلاماً عليه، ولو لم يقل: "سلاماً" لأهلكه بردها، ولو لم يقل: "على إبراهيم" لصارت بردا إلى الأبد[327].

"وأرادوا به كيدا" أي أنهم أرادوا إلحاق الضرر بسيدنا إبراهيم وقتله حرقا بالنار، لكن سعيهم وما أنفقوا في ذلك انقلب عليهم، فباؤوا بخسران مبين.

ـ المعلم الدعوي: "قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ..."، "قَالُوا حَرِّقُوهُ..."، "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ".

قال إبراهيم عليه السلام، فقالوا هم، ليقول الله عز وجل، فكانت النتيجة أن صاروا من الأخسرين؛ وهذا عائد لنصرة إبراهيم عليه السلام لربه وإحالة أمره إليه تبارك وتعالى، قال بشر بن الحارث: "لما رفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ليلقى في النار عرض له جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم، هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا"[328]، فهو في تلك اللحظة العصيبة لم يلتفت لأحد من العالمين حتى لجبريل عليه السلام، ولكن كان موجها قلبه لله مسلما الأمر إليه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل"[329]، فكان نصره على من كذبه ومكر به نتيجة هذا الموقف والإيمان العظيم.

3.2.2. الدعاء للمكذبين أو عليهم

سنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على موقف الداعاة في الدعاء لمن كذبهم أو الدعاء عليهم، وذلك في خمس آيات وردت في سورة الأنبياء:

"وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ"[330].

(327) ينظر: الماوردي، *النكت والعيون*، 454/3.
(328) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي، *شعب الإيمان* (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط/1، 1423هـ - 2003م)، "باب الرجاء من الله تعالى" 352/2.
(329) البخاري، "باب إن الناس قد جمعوا لكم" 49/6.
(330) الأنبياء، 76/17 - 77.

ـ المعنى العام: أي دعانا من قبل إبراهيم ولوط، فكان مجاب الدعوة "فنجيناه وأهله": أي نجاه الله تعالى ومن آمن معه، "من الكرب العظيم" أي من الطوفان الذي تعاظمت أمواجه فكانت كالجبال العظيمة، "ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا" كان النصر والمنع من الكفار من ضمن استجابة الله له، لأن قومه كانوا أهل سوء عرفوا به وكذبوه وكفروا بالله عز وجل فأغرقهم الله جميعا ولم ينج منهم أحد.

ـ المعلم الدعوي: صبر سيدنا نوح عليه السلام على دعوته تسعمئة وخمسين سنة، فلما علم أنه لا فائدة من إيمان قومه إلا الذين آمنوا معه: "وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"[331]، توجه إلى الله تعالى بالدعاء عليهم: "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً"[332]، وهذا الموقف اتخذه أغلب الأنبياء مع أقوامهم.

فدعا سيدنا لوط عليه السلام على قومه: "قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ"[333].

ودعا سيدنا موسى عليه السلام على فرعون وقومه: "وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ"[334].

أما سيدنا عيسى عليه السلام فوض الأمر لله تعالى، فقال: "إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"[335].

لكن سيد العالمين ورحمتهم صلى الله عليه وآله وسلم: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[336]، فمن كمال ما أوتي من رحمة ما كان ليدعو على قومه، وانما اكتفى بالإنذار والدعاء لهم، قال عبد الله: "كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(331) هود، 36/12.
(332) نوح، 26/29 - 27.
(333) العنكبوت، 30/20.
(334) يونس، 88/11.
(335) المائدة، 118/7.
(336) الأنبياء، 107/17.

يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[337]، فبدل الدعاء عليهم يبرر لهم "فإنهم لا يعلمون" ويدعو لهم بالمغفرة، وهذا من كمال شفقته صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: يا رسول الله إن دوسا عصت وأبت فادع الله عليها، فقيل هلكت دوس، قال: اللهم اهد دوسا وائت بهم"[338].

بل وهب الله تعالى لكل نبي دعوة مستجابة إلا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تركها لأمته يوم القيامة حرصا عليهم، عن أبي هريرة رضي الله هنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا"[339].

3.2.3. دعاء النبي لنفسه ومن حوله

سنتناول في هذا المطلب المعالم الدالة على توجه الأنبياء عليهم السلام بالدعاء لأنفسهم ولمن حولهم، حيث بينت سورة الأنبياء ذلك في ست آيات:

"وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ"[340].

ـ المعنى العام: أي واذكر أيوبَ يوم نادى ربه فقال: مسني الضر ولم يقل أصابني، تأدبا في مناجاته مع الله تعالى، فاستجاب الله تعالى له وكشف عنه ما نزل به من ابتلاءات في بدنه وأمواله وأهله فأعيدت صحته وثروته، رحمة من عند الله بأيوب عليه السلام إذ قال: "وأنت أرحم الراحمين"، "وذكرى للعابدين" أي وتنبيهاً للعابدين بأن الله لا يترك عنايته بهم[341].

---

(337) البخاري، "باب حديث الغار" 176/4.
(338) البخاري، "باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم" 54/4.
(339) مسلم، *صحيح مسلم*، "باب اختباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوة الشفاعة لأمته" 189/1.
(340) الأنبياء، 83/17 - 84.
(341) ينظر: ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 127/17.

ـ المعلم الدعوي: إن الحياة خلقت للابتلاء قال، تعالى:"الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً..."[342]، فلا يخلو حي من نزول الابتلاء، وخاصة أهل القرب من الله تعالى، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سئل من أشد الناس بلاء؟ قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"[343]، لذلك يرسم الله تعالى طريقا للدعاة من خلال موقف سيدنا أيوب عليه السلام، عندما تعاظم عليه البلاء توجه مناديا لله بكمال التأدب وتمامه، ولم يكن دعاؤه سؤالا، وإنما كان عرضا لحاله على الله تبارك وتعالى، يخبره بالذي حل به راضيا صابرا ملتمسا رحمة الرحيم تبارك وتعالى، فكافأه الله بالفرج والعوض.

"وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ"[344].

ـ المعنى العام: ذو النون هو سيدنا يونس عليه السلام، أضيف إلى النون وهو الحوت، أي واذكر صاحب الحوت "إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً" لقومه وفارقا لهم، دون انتظار الإذن من الله تعالى في مغادرتهم، فظن أن لن نضيّق عليه، فابتلاه الله ببطن الحوت، "فَنادى فِي الظُّلُماتِ" ظلام الليل، والبحر وجوف الحوت، "أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" أي ظلمت نفسي بخروجي قبل أن تأذن لي، فاستجاب الله له ونجاه من غم زلته والوحشة التي هو فيها، "وَكَذلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ" عندما يستغيثون بنا[345].

ـ المعلم الدعوي: يرشدنا الله تعالى من خلال ما وقع من سيدنا يونس عليه السلام، أن الداعية إذا وقع في الزلل لا بد له من الاعتراف بخطأه، والعودة رحاب خالقه، واتهام النفس بالظلم، فإنه بذلك لن يخرج من دائرة العناية الربانية، وستحفه الألطاف

(342) الملك، 2/29.
(343) ابن حبان، *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، "ذكر البيان بأن البلاء يكون بالأنبياء أكثر ثم الأمثل فالأمثل في الدين" 253/3.
(344) الأنبياء، 87/17 - 88.
(345) ينظر: سعيد حوى، *الأساس في التفسير*، 3483/7.

الإلهية، وسيعود ذلك عليه بالخير كله، وهذا ما جسده سيدنا يونس عليه السلام في موقفه هذا، فكان يتقلب في سكينة ورضوان من الله تعالى.

"وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ..."[346].

ـ المعنى العام: أي واذكر زكريا إذ دعا ربه رب لا تدعني وحيدا من غير وريث، وأنت أفضل الوارثين، قال الله تعالى: "فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ"، أي منّ على امرأته بالشفاء إذ كانت عقيماً ولم تلد قط، فوهبهم الله تعالى يحيى عليه السلام[347].

ـ المعلم الدعوي: النبي زكريا عليه السلام يؤكد في دعائه هذا أن الإنسان بفطرته يسعى لأن يكون له وريث يحفظ به نسله، ويبقي بعده ذكره، وخصوصا صاحب الدعوة، فبالإضافة لذلك كله هو بحاجة إلى من يحمل نهجه ورسالته من بعده، فيكون بمثابة الخليفة له، وهذا ما نص عليه الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنـه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلـم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[348]، فمن ترك وريثا صالحا ما مات وإن مات.

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الهداة الأعلام، وبعد:

(346) الأنبياء، 89/17 - 90.
(347) ينظر: السمرقندي، *بحر العلوم*، 440/2.
(348) مسلم، *صحيح مسلم*، "باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته" 73/5.

بفضل من الله عز وجل تم إكمال هذا البحث المتواضع، والله تعالى أسأل أن يجعل ما بُذل خالصا لوجهه؛ ليرضى عنا ويجعل فيه النفع، فما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

وهنا في الختام كان لا بد أن يختم البحث بجملة من النتائج والتوصيات والتي من أبرزها:

1 ـ تناولت هذه السورة الجانب العقدي، من إثبات الوحدانية لله، وتصديق الرسل وما جاءوا به من كتب من عند الله، وإثبات الحساب والبعث والنشور.

2 ـ للسورة حظ وافر من اسمها فقد حملت في طياتها معالم دعوية كثيرة ومهمة، منها ما هو ظاهر جلي، ومنها ما هو خفي، يستنتج من خلال تدبر الآيات.

3 ـ الدعوة أصول وقواعد يتوصل من خلالها إلى تبليغ البشرية هدي الإسلام، ثم تبليغ تعاليمه لهم، ثم تطبيق تلك التعاليم واقعا حياتيا ضمن منهج معين وفهم عميق بالدعوة وأصولها.

4 ـ أهم ما يجنيه الداعية من فهم مقاصد الدعوة هو: فقه الأولويات، فيقدم الضروريات على الحاجيات، والحاجيات على التحسينيات، والمصلحة العامة على الخاصة، وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح وهكذا.

5 ـ الدعوة إلى الله تعالى قائمة على الحب والحرص على هداية الخلق؛ لذا كان من أهم المقاصد الدعوية هو تحقيق الهداية والإصلاح.

6 ـ بعث الله تعالى الرسل وأمرهم بالتبليغ؛ لتحقيق مقصد إقامة الحجة على الناس، ولا يتحقق هذا المقصد إلا إذا اقترن بمقصد الحرص على هداية الناس وإنقاذهم من الظلمات إلى النور، وإلا ما الفرق بين الداعية الحقيقي وإبليس الذي يحرص على دخول الناس النار.

7 ـ الأساليب العقلية من أهم ما يستخدم في مخاطبة عقول الكافرين والملحدين، فهم لا يؤمنون بقرآن ولا رسول.

8 ـ الأسلوب العاطفي أسلوب شمولي ومؤثر، تأثيره يسري على أصناف المدعويين كافة.

9 ـ كل دعوة لا تبنى على أساس العلم والحكمة والصدق تفسد ولا تصلح، لذا كان على الداعية أن يعد نفسه إعدادا يمكنه من التحلي بهذه الصفات.

10 ـ ما من دعوة إلى الله تعالى إلا حوربت وانبرى لها جمع من المكذبين والمعرضين، فكان على الداعية أن يضع ذلك في الحسبان؛ لأن طريق الدعوة طريق صعب وشائك، ما سلكه أحد إلا ابتلي امتحانا لصدقه، فإن ثبت نال ذلك الشرف الذي حمله الأنبياء والرسل من قبل.

من أهم التوصيات التي أوصي بها:

1 ـ علم الدعوة إلى الله علم متجدد يحتاج إلى تطوير بتطور المعوقات التي تطرأ على ساحة الدعوة، لذا أوصي أهل الشأن من علماء ودعاة ومفكرين بمواكبة ما يجري لإيجاد الحلول المناسبة لتلك المعوقات التي تقف حائلا في تحقيق مقاصد الدعوة.

2 ـ أوصي كل من حمل هم الإسلام ودعوته بإعداد نفسه وروحه علميا وتربويا، وذلك بالأخذ عن أهل العلم وصحبة الصالحين، كي يكون محصنا مثمرا بدل أن يكون وبالا على الإسلام والدعوة.

3 ـ أوصي إخواني من طلبة العلم جعل هذا الموضوع مشروعا بحثيا كبيرا من خلال تناوله في باقي سور القرآن الكريم.

وفي الختام أسال الله يجعل هذا الجهد المتواضع خالصا لوجه، نافعا لعباده، ببركة الصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي ت 281هـ، *العقوبات*: بيروت: دار ابن حزم، ط1/ 1416هـ - 1996م.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، ت543هـ، *أحكام القرآن*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، ت392هـ، *الخصائص*: بيروت: عالم الكتب، د.ت.

ابن حبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ت739هـ، *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

ابن عاشور، الإمام محمد الطاهر، *تفسير التحرير والتنوير*: تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي ت 1224هـ، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*: القاهرة: الناشر: د. حسن عباس زكي ط/ 1419هـ.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*: القاهرة: دار التراث، ط1980/20م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة*: بيروت: دار الفكر، ط/ 1399هـ - 1979م.

ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي ت774هـ، *تفسير القرآن العظيم*: بيروت: دار الفكر، ط1/ 2009م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين ت213هـ، *السيرة النبوية لابن هشام*: مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2/ 1375هـ - 1955م.

أبو السعود، القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ت982هـ، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

أحمد أحمد غلوش، *الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها*: القاهرة: دار الكتاب المصري، ط2/ 1407هـ - 1987م.

الأصفهاني، أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الشافعي ت 430هـ، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

الأفريقي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري، *لسان العرب*: بيروت: دار الفكر، ط3/ 1414هـ.

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي ت1270هـ، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي ت 256هـ، *صحيح البخاري*: بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1422هـ.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود ت516هـ، *معالم التنزيل*: د.ب: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4/ 1417هـ - 1997م.

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر ت885هـ، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

البيانوني، محمد أبو الفتح، *المدخل إلى علم الدعوة*: بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3/ 1435هـ - 2014م.

البيضاوي، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت685هـ، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*: طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى، د.ت.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ت 458هـ، *شعب الإيمان*: الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط/1، 1423هـ - 2003م.

الترمذي، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت279هـ، *سنن الترمذي*: بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت.

التستري، الإمام أبو محمد سهل بن عبد الله، ت283هـ، *تفسير التستري*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله، *شرح المقاصد*: بيروت: عالم الكتب، ط2/ 1419هـ - 1998م.

الثقفي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير ت708هـ، *البرهان في تناسب سور القرآن*: الدمام: دار ابن الجوزي، ط1/ 1428هـ.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف ت816هـ، *التعريفات*: بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1403هـ - 1983م.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*: المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5/ 1424هـ - 2003م.

الجصاص، الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي ت370هـ، *أحكام القرآن*: بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1415هـ - 1994م.

الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني ت 227هـ، *سنن سعيد بن منصور*: الهند: الدار السلفية ط1/ 1403هـ - 1982م.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت 597هـ، *صفة الصفوة*: القاهرة: دار الحديث، ط1/ 1421هـ - 2000م.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي ت393هـ، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*: بيروت: دار العلم للملايين، ط4/ 1407هـ - 1987م.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ت 405هـ، *المستدرك على الصحيحين*: بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.

الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ابن علي التيمي البكري الشافعي ت606هـ، *مفاتيح الغيب*: بيروت: دار الفكر، ط1/ 1401هـ - 1981م.

الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، *مختار الصحاح*: بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1415هـ - 1995م).

الرحيلي، حمود بن أحمد، *أصناف المدعوبين وكيفية دعوتهم*: دمشق: دار العلوم والحكم، ط1/ 1414هـ - 1994م.

الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله ت 794 هـ، *البرهان في علوم القرآن*: بيروت: دار المعرفة، 1391هـ.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد، ت538هـ، *الكشاف*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، *سنن أبي داود*: بيروت: دار الفكر، ط1/ 2009م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم ت375هـ، *بحر العلوم*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

السيوطي، الحافظ جلال الدين ت911هـ، *مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع*: الرياض: دار المنهاج، ط1/ 1426هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، *الإتقان في علوم القرآن*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ت790هـ، *الموافقات*: السعودية: دار ابن عفان، ط1/ 1417هـ - 1997م.

الشعراوي، محمد متولي الشعراوي ت 1418هـ، *تفسير الشعراوي*: د.ب: مطابع أخبار اليوم، 1997م.

الشنقيطي، العلامة محمد أمين بن محمد المختار الجكني ت1393هـ، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*: د.ب: دار عالم الفوائد، مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، د.ت.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ت 241هـ، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*: د.ب: مؤسسة الرسالة، ط1/ 1421هـ - 2001م.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ت 241هـ، *الزهد*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

الصابوني، الشيخ محمد علي، *صفوة التفاسير*: إسطنبول: دار السراج، الفاتح، ط1/ 1440هـ - 2019م.

الطبري، أبو القاسم سليمان بن أحمد ت 360هـ، *المعجم الكبير*: القاهرة: الناشر مكتبة ابن تيمية، ط2/ 1983م.

الطبري، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ت310هـ، *جامع البيان في تأويل القرآن*: بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1/ 1420هـ - 2000م.

الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله ت 743هـ، *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب "حاشية الطيبي على الكشاف"* : د.ب: الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط/1 1434هـ - 2013م.

عبد الكريم زيدان، *أصول الدعوة*: د.ب: د.د، ط3/ 1396هـ - 1976م.

عز الدين عبد العزيز عبد السلام ت660هـ، *القواعد الكبرى*: دمشق: دار القلم، د.ت.

العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر ت 852هـ، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*: بيروت: دار المعرفة، ط1/ 1421هـ - 2001م.

الغماري، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق، *جواهر البيان في تناسب سور القرآن*: القاهرة: مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف، د.ت.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، *العين*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

الفزاري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن ت188هـ، السير لأبي إسحاق الفزاري: بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1/ 1987م.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ت 817هـ، *القاموس المحيط*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، ت770هـ، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*: بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن*: بيروت: دار الفكر، ط1/ 1441هـ - 2019م.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري ت1307ه، *فتح البيان في مقاصد القرآن*: بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ - 1992م.

القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار ت437هـ، *الهداية إلى بلوغ النهاية*: الشارقة: الناشر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1/ 1429هـ - 2008م.

لطفي عبد البديع، *التركيب اللغوي للأدب*: الرياض: دار المريخ للنشر، ط/1409هـ - 1989م.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، ت333هـ، *تأويلات أهل السنة*: بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1426هـ - 2005م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت450هـ، *النكت والعيون*: بيروت: دار الكتب العلمية، ط3/ 1433هـ - 2012م.

محمد الخضر حسين، *الدعوة إلى الإصلاح*: القاهرة: المطبعة السلفية، ط1346/1هـ.

محمد السيد الوكيل، *أسس الدعوة وآداب الدعاة*: القاهرة: مطابع أخبار اليوم، دار الطباعة والنشر الإسلامية، د.ت.

محمد محمد أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*: الرياض: دار اللواء، ط3/ 1407هـ - 1987م.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، *صحيح مسلم*: بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1334هـ.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة ت 1425هـ - 2004م، *معارج التفكر ودقائق التدبر*: دمشق: دار القلم، ط1، د.ت.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، *السنن الكبرى*: بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1411هـ - 1991م.

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات ت710هـ، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*: بيروت: دار الكتب العلمية، ط2/ 1435هـ - 2014م.
النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ت 468هـ، *أسباب النزول*: القاهرة: مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1388هـ - 1968م.

الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري، *تهذيب اللغة*: بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

السيرة الذاتية

ولد الباحث في مدينة الموصل – نينوى، في 1 / 12 / 1987م.

وتخرج في كلية (الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله)، قسم الدعوة والخطابة، للعام الدراسي 2008 - 2009.

وضعه الأكاديمي والمهني:

1- إمام وخطيب جامع الروضة المحمدية، العراق - الموصل.

2- مدير مدرسة الأمين الابتدائية الأهلية.

الدورات التدريبية والشهادات:

1. الدورة التطويرية الحتمية للأئمة والخطباء والتي أقيمت في مديرية الوقف السني / نينوى للفترة من 17 / 2 / 2019 إلى 28 / 2 / 2019.

2. الدورة التدريبية (إدارة الأزمات) والتي أقامها منتدى الارتقاء بتاريخ 2 / 2 / 2019.
3. دورة (تطوير أداء المعلمين) والتي أقامتها مؤسسة الفيض الإنسانية للفترة من 6 / 11 / 2013 إلى 9 / 11 / 2013.
4. دورة (طرائق التدريس المعاصرة) التي أقامتها مؤسسة الفيض الإنسانية للفترة 12 / 9 / 2018 إلى 15 / 9 / 2018.
5. دورة (المدير المطور) المقامة من قبل (British council) بتاريخ 3 / 3 / 2019 إلى 7 / 3 / 2019.
6. دورة (الإدارة التأهيلية الأولى) التي أقامتها المديرية العامة لتربية نينوى / قسم الإعداد والتدريب للفترة 1 / 4 / 2018 ولغاية 5 / 4 / 2018.
7. دورة (الإدارة المدرسية للمدارس الأهلية) التي أقامتها المديرية العامة لتربية نينوى / قسم الإعداد والتدريب للفترة 22 / 7 / 2018 ولغاية 26 / 7 / 2018.
8. دورة (كفاءة اللغة الانكليزية) جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية- قسم اللغة الانكليزية 17 / 2 / 2019 إلى 21 / 2 / 2019 .
9. دورة (كفاءة الحاسوب) جامعة الموصل / مركز الحاسبة الإلكترونية 10 / 3 / 2019 إلى 14 / 3 / 2019 .
10. شهادة (Tömer) في اللغة التركية، جامعة سكاريا / تركيا 16/ 3/ 2020.
11. شهادة (كفاءة اللغة العربية) جامعة الموصل / كلية التربية قسم اللغة العربية 4 / 3 / 2019.
12. شهادة (كفاءة الحاسوب) من الجامعة المستنصرية ـ مركز الحاسبة الإلكترونية بتاريخ 23 / 3 / 2017.

التشكرات:

1. شكر وتقدير من المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى والمرقم (11582) في 31 / 1 / 2013.
2. شكر وتقدير من مديرية الوقف السني / نينوى ـ شعبة الإرشاد 2017.
3. شكر وتقدير من رئاسة مجلس محافظة نينوى / الإدارة والموارد البشرية والمرقم 580 في 23 / 1 / 2019.

KİŞİSEL BİLGİLER

ORCİD	**0000-0002-6207-7623**
Adı Soyadı	**عبد العزيز ياسين محمد سعيد قصاب باشي**
Doğum Yeri	
Doğum Tarihi	

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	**كلية الإمام الأعظم ابو حنيفة النعمان**
Fakülte	**الدعوة والخطابة**
Bölüm	**دعوة وخطابة**

YÜKSEK LİSANS EĞİTİMİ

Üniversite	**جانكري كارا تكين**
Enstitü	**معهد العلوم الاجتماعية**
Anabilim Dalı	**الدراسات الإسلامية الأساسية**

İLETİŞİM

Adres	
E-mail	